دیوان

حامد طاہر

تجربتي مع الشعر

هاجرت أسرتى من الريف إلى القاهرة فى نهاية الثلاثينات : أبى ، وأمى ، وخمس بنـــات ، وأربعة أبناء • ولا يمكن أن أقول إن أبى كان ريفيا بمعنى الكلمة • فقــد ورث عن والده حوالى عشرة أفدنة من أجود الأراضى الزراعية **بالدقهلية** : كان يؤجرها تارة ، ويرهنها أحيانا ، دون أن يعمل بيديه فى الحقل • ومن حكاياته لنا عرفت أنه لم يألف حيـــاة الريف قط ، وإنما كان نزوعه دائما الى حياة المدينة ، لهــذا كان كثير الســـفر الى مدينة **المنصــورة** لأدنى مناســبة •

ومن الطبيعى أن يتحين أبى الفرصـــة ليهاجر بتلك الأسرة الكبيرة العــدد الى **القاهرة** ، حيث استأجر مســكناً بجــوار القلعة ، فى **حى الخليفة** • ونظراً لقــلة الموارد ، دفع بإخوتى الثلاثة الكبار (الســيد ، محمد ، منـــير) الى تعــلم صــناعة الحقائب ، وحافظات الجيب الجلدية ، بعد محاولات متعثرة فى المدارس ، خرجوا منها بتعلم القراءة والكتابة •

وعندما أتقن إخوتى « الصـــنعة » ، فتح أبى لهم مصنعاً صـــغيراً على مقربة من **بوابة المتولى بالغورية** • وزاد المكسب باطراد • وشعرت الأسرة المهاجرة بنوع من الاستقرار النسبى ، الذى لم يؤرقه حينئذ إلا غـــارات **الحرب العالمية الثانيـــة** ، والتى كانت القاهرة أحيانا مسرحاً لهـــا •• مما حدا بالأسرة

الى أن تنتقل الى مسكن أكثر اتساعاً ومتانة فى شارع الدرب الأحمر •

وُلدت فى هذا الشارع ، فى الثامن من ابريل سنة ١٩٤٣ • فصرت عاشر الأبناء • ومن العجيب أننى مازلت أحتفظ جيداً بمنظر الغارات التى وقعت على مدينة القاهرة ، أثناء **حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ :** صفارات الانذار ، والأضواء الكاشفة ، واللجوء الى المساجد الضخمة بدلاً من المخابىء ، وابتهالات أبى وأمى بصوت عال ومضطرب طيلة انطفاء النور ، ثم عودتنا بعد ذلك الى المنزل ، و « سَدّة النفس » عن الطعام الكثير ، الذى كان يتم اعداده على نحو جيد ، بسبب وجود خمس بنات يعملن جميعا بكفاءة وانتظام لهذا الغرض ••

كان لميلادى فى تلك الظروف وقع كبير فى الأسرة كلها • فأنا الأصغر أو آخر العنقود كما يقولون • وأبى يشملنى بعطف خاص ، ويصحبنى أحيانا الى أكبر مساجد القاهرة كالأزهر والحسين والسيدة زينب لسماع **الشيخ محمد رفعت ،** وأحيانا أخرى الى نادى السعديين ، الذى كان عضواً فيه ، للتسليم على النقراشى باشا ، وقد رأيته — ذات مرة — يستقبله بترحاب شديد •

وفى إحـدى المرات ، زادت حـدة الغارات على القاهرة ، وتداعى المنزل الملتصـق تماما بمنزلنا ، توفى فيـه بعض من نعرفه • فاضطرت الأسرة الى الرحيل الى **مدينة المنصورة** — وليس **قرية أبى (الدنابيق)** أو قرية أمى **(سـلامون)** — وهنـاك استأجرنا شـقة فاخرة فى حى راق • وأذكر أننى تعرفت ، فى ذلك الحى ، على بعض الأصـدقاء من أبناء العائلات الموسرة ، وكنت أذهب بصحبتهم للتفرج على لـُعـَب الأطفال المعروضـة بمحلات **شارع السـكة الجـديدة** : كالقطارات ، والحيوانات المصـنوعة من العاج ، والجنود المصـنوعين من البرونز — وهى أشياء لم أرها بعد ذلك إلا فى بعض الأحياء القديمة **بباريس** ، عندما سافرت إليها فى السبعينات •

وضـعت الحـرب أوزارها ، فعـدنا الى القاهرة ، ثم مالبثنا أن انتقلنا الى **منطقة الدرّاسة** شـمال **حىّ الحسين** : وهى منطقة جيـدة التخطيط ، نظيفة وهادئة ، وسكانها غالبا من الموظفين والطبقة المتوسـطة ، وهم عمـوما أكثر انطواءً من أهالى الدرب الأحمر ، ونساؤهم أكثر تحفظا • وفى المنزل رقم ٨ بشارع الملك المنصـور ، أقمنـا ما يقرب من خمس عشرة سـنة : اخوتى الكبار يعملون فى حجرة واسعة بالمنزل ، واخواتى البنـات مخصصات لأعمـال البيت • وأخى الأكبر مباشرة **(أحمـد)** قرر أبى أن يرسـله الى الأزهر ، لأنه لم

يكن يثق كثيراً فى التعليم المدنى .

أما أنا فقـد التحقت بمدرسة الجمالية : مدرسـة عتيقة ولها تقاليدها . وقـد أحببتها ، وصادقت فيها زملاء كنا نتزاور فى المنازل خـلال الأجازات . وكان ترتيبى على الفصل يتراوح بين الثـانى والرابع . وفيهـا أحببت اللغـة العربية ، لأن الظروف أتاحت لنـا أستاذا ممتازاً (اسـمه **عبد الحـليم**) خصنى بعنايته ، وكان يختارنى للقراءة أمام المفتشين ، مما زاد من مسئوليتى واهتمامى بدروسـه .

كانت **مدرسـة الجمالية** غاية فى النظافة . وكنا نقضى بها أطول النهـار ، من الثامنة صـباحاً الى الخامسة بعد الظهر . وفيها نتناول وجبـة غـداء كاملة . ونسعد بفسحة تصـل الى ساعة ونصـف ، نمارس فيها شتى الهوايات . وفى كل يوم جمعة رحـلة الى أحـد معالم القاهرة . وأناشيد الصـباح ، وتلك اللوحة الجميلة الخط التى كانت معلقة فى احدى الردهات ، مكتوب فيها « دولة الظـلم ساعة ، ودولة العـدل الى قيام السـاعة » . والمسـابقات الثقافية ، والرياضـية وتوزيع الجوائز .. والمدرسون مهتمون والناظر حازم وحنون ..

وفجأة قـرر أبى أن أترك هـذه المدرسـة ، وأن ألحق بأخى فى الأزهر . وبكيت كثيراً ، واستعطفت فلم يقبل رجائى .

وكان على ّ أن أحفظ قدراً من القرآن الكريم فى**مسجد المستعلى بالله** (القائم حتى الآن) عند **الشـــيخ ســـيد** ، وهو شبه كفيف ، ظل يعاملنى بقسوة ، حتى اضطرنى لرشـــوته ببعض الهـــدايا المنزلية ، فاطمأن لى ، بل إنه كان يفـــوّت لى أحيـــانا بعض الواجبـــات •

حفظت حوالى ثلثى القرآن الكريم • ودخلت امتحـــان القبول بالأزهر • ومن العجيب أننى نجحت فيه رغم تشدّدهم فى ضرورة حفظ القرآن كله • أما الذى يبدو أنه شفع لى : فهو أننى قرأت أمام لجنة الامتحان فقرة من الجريدة اليومية بأداء جيـــد ، كنت متعودا عليه فى مدرسة الجمالية •

كانت فرحة أبى بالغـــة بنجاحى فى الأزهر • وعلى الفور ، اصطحبنى ليشـــترى لى عمـــامة وكاكولا من **حـــى المؤيّد** • ولم يجد البائع على مقاسى شيئاً مناسبا ، فأوصى أبى بشراء مقاس أكبر ، ودله على ترزى لكى يضـــبطه على جسمى الصـــغير • وأذكر أننى كنت أصـــغر « شـــيخ » فى معهد القاهرة الدينى ، وأننى كنت موضـــع سخرية **عم ابراهيم** ، بقال شارعنا ، الذى كان يترك زبائنه عندما يرانى ، ويخرج من المحل صـــائحا : « أهـــلا يا شيخ حامد •• » أو « مع الســـلامة يا فضـــيلة الشـــيخ » ••

صرت أتحاشى رؤية أصــدقاء مدرسة الجمالية • وكان قــد أصبح لى أصــدقاء جــدد فى منطقة الدراسة • وهناك فى شــارع بدر ، قضــيت أجمل سنوات عمرى على الاطلاق : لعب الكرة الشراب ، والعسكر والحرامية ، والسبع طوبات •• ثم الحب الأول الذى عزف فى النفس أحلى أغانيه العذبة •

كان أصــدقائى فى منطقة الدراســة هم الإخوة الصغار لأصــدقاء أخى **أحمــد** • أى أننا كنــا نمثل جيلين متعاقبين ، ومع ذلك كنا غير منفصــلين • بعض الألعاب كانت تقتضى أن نشترك فيها جميعا ، أو يشترك فيها عــدد محــدود من الجيل الأصــغر • وكنت أنا دائما من بينهم •

وعلى ناصــية شارع بدر ، كان لنا اجتماع شبه دائم ، ليلاً ونهاراً • وأجمل سهرات شهر رمضــان هى التى قضيتها على هــذه الناصــية • كنا نخوض فى كل شىء • ونحلم بأشياء بعيدة •• بعيدة جــداً • ومازلت أذكر أن أحــد الأصــحاب أخبرنا ذات يوم ، ونحن وقوف على تلك الناصــية ، بوفــاة الشــاعر **ايليــا أبو ماضى** ••

أما مكوجى الناصــية المقابلة ، فقــد سمعت من مذياعه البيان الأول **لثورة ٢٣ يولية ســنة ١٩٥٢** • وغمرنى يومهــا شعور غريب ، فكأننى كنت أنتظرها ••

الواقع أن أسرتنا فى منطقة الدراســة قــد عانت كثيراً الضائقات المالية المتعاقة • وكانت أحياناً تستدين • وكنت أشهد هــذا بمرارة ، كما كنت أدرك أســبابه : بعــد استقرارنا فى القاهرة ، أصــبح منزلنا « مزاراً » مألوفاً جــدا لأهالى قرية أبى ، وقرية أمى على الســواء : أقارب ، وأصــدقاء قدامى ، ومعارف من قريب ، وحتى من بعيد •• ونصب أبى من نفســه كفيلاً لكل هؤلاء : يعــدّ للوافد منهم مكاناً يبيت فيــه ، ثم يسأله فى الصــباح عن سبب زيارته للقاهرة ، ويسعى معه فى قضــاء حاجته ، ثم يعطيه قــدراً من المال للاستعانة به عليها • وما أكثــر ما كان يبعث بأحــد اخوتى الكبار لكى يوّصــل « صــاحبنا » الى محطة مصر ، و « ويقطع له التذكرة •• » •

ومن المدهش أن معظم هؤلاء الزائرين لم يحفظوا وداً ، ولا معروفا • وكانت تبلغنا عنهم مواقف منافية لما قدمناه اليهم فى القاهرة • والأكثر غرابة أن أبىكان يسمع ، ويغضى: متجاهلاً حينــا ، وغاضــباً حينا آخر ، وفى كل الحالات : ما كان واحد من أسرته يقــدر أن يوجه له كلمة عتاب •

أما أصــدقاء منطقة الدراسة ، فكانت أسرهم ــ كمــا قلت ــ من الطبقة المتوسطة ، أو الموظفين : وهى أسر أكثر استقرارا ، على الأقل من ناحية ميزانيتها الشهرية ، فهنــاك

أوقات معلومة لشراء أدوات المدرسة للأولاد ، وملابس العام الجديد ، والاستعداد اللائق للأعياد والمناسبات . وعلى العكس من ذلك تماما كانت أسرتنا : ربما تسعد وحدها فى غير الأعياد ، ولكنها قلما تشارك الناس فى مناسبتهم السعيدة .

أحسست بأننى من الطبقة التى جاءت ثورة يوليه لانصافها . وقد زاد من هذا الاحساس أن أبناء الأسر المجاورة أظهروا اشمئزازهم من تلك الفوضى التى قام بها الجيش ، فقلب بها الأوضاع السائدة ، والتقاليد المستقرة .

وكان هناك سبب خاص زاد من احساسى بالغربة فى تلك الفترة ، وهو أن نوع دراستى كان مختلفا تماماً عن دراسة أصدقائى . فمعظمهم يدرسون فى المدارس الأجنبية كالليسيه ، والمدرسة الانجليزية ، والمدرسة الألمانية ، كما يدرسون اللغات الأجنبية ، ويتغنون أمامى فى أغلب الأوقات ببعض أناشيدها . وأنا أدرس فى معهد القاهرة الدينى : النحو العربى ، والصرف ، والتجويد ، والفقه (على المذهب الحنفى) لهذا كانت لى حياتان : إحداهما مع هؤلاء الأصدقاء ، أجاريهم فيها ، وأحاول جاهداً أن أستوعب ما يتحدثون عنه ، وأتقبله منهم ، والحياة الأخرى لى وحدى : أنطوى فيها على نفسى ، وألزمها بحفظ أشياء لم تكن فى ذلك الوقت مفهومة ، ولا حتى مقبولة من عقلى الصغير .

ومرة أخرى .. أحسست أن ثورة يولية سوف تنصفنى من تلك الطبقة ، ومن أبنائها المتميزين عنى فى كل شىء : فى المستوى الاجتماعى ، وفى طبيعة التعليم ، وفى الثقافة العامة . ومع ذلك فإننى لم أكرههم قط ، بل ظللت أحبهم ، وأميز حتى الآن وجوههم ومواقفهم الكريمة معى ، ولا أكاد أذكر لواحــد منهم — على كثرة عددهم — موقفاً أساء فيه الىّ ..

كانت المواد الدراسية جافة فى الأزهر الى حــد بعيد ، وخاصــة فى المرحــلة الابتدائيــة . ويوم أعارنى صــديقى **محفوظ عــزام** قصــة **سيف بن ذى يزن** (فى أربعة مجلدات) لم أتركها حتى أكملت قراءاتها . بل إننى كنت اقرأها فى الفصل ، مخفياً إياها عن الأساتذة وأذكر فى هــذا المجال ، أن أستاذ مادة الفقــه كان يدعونى دائماً لكى أقرأ من الكتاب بصــوت عال ، ثم يقوم هو بالتعليق عليه فقرة فقرة (وهى طريقة التدريس التى كانت متبعة فى الأزهر) وقــد حرصت مع ذلك على أن أستمر فى قراءة سيف بن ذى يزن ، عندما أنتهى من قراءة كلّ فقرة من المتن ، دون أن يلاحظ الأستاذ شيئاً غير عادى ، وكذلك باقى زملائى فى الفصــلَ .

وكان المعهد الدينى يضــم الكثير من الطــلاب المكفوفى البصر ، أو شــبه المكفوفين . ولهؤلاء : امتحاناتهم الخاصــة

(**التى تتم شــفوياً بالطبع**) ، كما كانت لهم حلقاتهم الخاصة • **ولا أدرى ما الذى شدنى فى ذلك الوقت الى زمالتهم** ، والمذاكرة لهم ، ومعايشــة مشكلاتهم ، والاستمتاع أحيانا بنوادرهم • أذكر أن الشــيخ (عصــفور) راهن أحــد زمــلائه على أن يأكل فى وجبة واحــدة سبعة أرغفة مع الطعمية والسلاطات •• ومضى التحــدى أمام الجميع الى نهايته ، وانتصر الشــيخ عصــفور علناً على منافسه ، ولكنه رجانى بعد ذلك أن أصحبه الى « ميضــة » الجامع الأزهر لكى يفرغ جميع ما ازدرده فى الرهان •• وراح يبكى ••

أما المرحــلة الثانوية ، فقــد أنفرج فيها البابُ قليلاً ، بادخال مادة الأدب العربى فى المقررات الدراسية • وهنا امتد أمامى أفق واســع • وأوسع منه أن أخى الأكبر **أحمــد** ، كان قــد بدأ يستعير من دار الكتب المصرية ، بباب الخلق ، مؤلفات **المنفلوطى والرافعى والزيات** •• وكنت ألتهم معــه ، وأحيانا قبــله ، هــذه المؤلفات •

ثم عرفت الطريق بنفسى الى دار الكتب ، وحملت بعض أصــدقاء منطقة الدراســة الموسرين على الذهــاب معى الى قاعة المطالعة ، ليقرأوا فى مجلدات مجلة **سمير** ، أو **السندباد** •• بينما أقرأ أنا فى مجلدات **الأغانى** لأبى الفرج الأصــفهانى . **والحيــوان** للجاحظ ••

وبدأت أميل الى الشـــعر •• وأشعر فى أعماقى بقـــوة تدفعنى الى قوله • ورحت أحاول تقليد ما أقرأ بكلام ركيـــك غير مستقيم الوزن ، لكنه مطرد القافية •• وبمرور الوقت ، درست عـــلم العروض بالأزهر ، فأخـــذت أقيس به ما أكتب ، ووجدت بعضـــه موزونا ، ففرحت كثيراً ••

ومن أحـــداث ثورة يوليه التى كان لهـــا تأثير مباشر على أسرتنا الصـــغيرة ، انها أصدرت قراراً بحل الأوقاف الأهلية • وبذلك أتاحت لأصحابها أن يتصرفوا فيها بالشراء والبيـــع • وفرح أبى كثيرا بهـــذا القرار • لكن أمى لم تكن كذلك • وفى صـــفقة غير متعادلة : باع أبى عشرة الأفدنة التى كانت موقوفة بأرض الدقهلية ، ليشترى بثمنها مائة فدان صحراوية فى أرض الفيوم •• وكان مشروعاً هائلاً لو أنه نجح •• لكن نجاحه كان بحاجة الى قـــدر كبير من التخطيط الكافى ، والتمويل المنتظم ••

وذات يوم ، قرر أبى بدوره أن تنتقل الأسرة كلها الى **الفيـــوم** لنقيم فى المنزل الكبير الذى بنـــاه وســـط الأرض ، تمهيداً لزراعتها ، وأن يتوقف إخوتى الكبار عن العمل فى مهنة الجـــلود ليساعدوه فى أعمال « العزبة » الجـــديدة •• وبالفعل انتقلنا • وهناك عشـــنا حوالى ثلاث سنوات قاحلة ، لم تخرج فيهـــا الأرض لنا ســـوى بعض الخضراوات ••

كنت أقضى الساعات الطويلة منفرداً فوق سطح منزل الفيوم ، حيث كان فى مقدورى أن أشاهد على البعد « بحيرة قارون » ، الشديدة الزرقة ، وسط الرمال الصفراء المترامية .. وكانت تمر بى لحظات أشعر فيها أننى جزء من هذه الطبيعة الخالدة ، والساكنة تماماً من حولى . وفكرت فى أشياء كثيرة : الدين ، والمجتمع ، ومغامرة أبى التى تتداعى أمام عينى .. وأخيرا كنت ألجأ الى الشعر ، أحاول أن أكتبه فيستعصى علىّ ، وأحسّ بمرارة شديدة لابتعادى عن دار الكتب ، وعن موطن ذكرياتى فى الدراسة .. وكثيراً ما كنت أحس بأننى مقبل على نهاية العالم . وبالفعل كانت المنطقة التى نعيش فيها على طرف الصحراء الغربية ..

لكننى وأخى أحمد وابن أخى وجيه كنا أسعد حظاً من باقى أفراد الأسرة المعزولة . فقد كنا نسافر الى القاهرة مرتين فى كل عام : واحدة للدراسة ، والأخرى لأداء الامتحان . وذات يوم ، بلغ بى التمرد غايته ، فأعلنت لأول مرة أننى لن أعود الى الفيوم ، وسوف أبقى فى القاهرة وحدى . وعندما هددونى بقطع المصاريف ، جابهتهم بأننى سأعمل فى الأجازة .. وأثار هذا التصرف العنيد باقى اخوتى ، فقرروا جميعا العودة ، واستئناف عملهم من جديد ، بعد أن تحقق لهم فشل تجربة الفيوم .

عــدنا مرة أخرى الى **الدرب الأحمر** ، واستأجرنا منزلا في أول شارع باب الوزير ، وهو الشــــارع الوحيد الذى يؤدى الى المدافن الواقعة فى حضن القلعة • وفى مشربية هذا البيت العتيق ، كنت أقضى الساعات الطويلة ، قارئا فى كتــاب ، أو متأملاً فى مصير الموتى الذاهبين الى مقرهم الأخير ، ومشيعيهم العائدين بخطــوات منهكة ، وأذرع مدلاّة ••

لكن أجمل ما فى تلك الفترة كان هو قربى من **دار الكتب** •• أذهب اليها كل يوم ، بيدى قــلم ، وكراسة ، ومعى سندوتش للغــداء ، وأجلس فى قاعة المطالعة ، أو فى قاعة المخطوطات من التاسعة صــباحاً حتى الخامسة أو السادسة مساء •• كنت أقرأ بدون نظام ، أو بالأحرى كنت نهمــاً لمعرفة كل شىء • وكلما وجــدت اشارة عن كتاب أو ديوان شـــعر لم أهــدأ حتى أطلبه ، وأقرأه ، وأسجل منه فى كراستى الصغيرة بعض العبارات ••

وفى ســنة ١٩٦١ ، دخل فصــلنا أستاذ جــديد لتدريس مادة الأدب العربى • وفوجئت بأنه لا يرتدى الزى الأزهرى المعهود • كان هو **الســيد أحمد صقر** ، المحقق الكبير ، والذى كان مغضوبا عليه من الأزهريين فعاقبوه بالتدريس فى المرحلة

الابتدائية ، ثم شمله العفو قليلا فانتقل الى المرحلة الثانوية !

أحـــدث هـــذا الرجل انقلاباً هاماً فى حياتى • فقد طرح على الطـــلاب سؤالا مثيرا :

— ماذا قرأ كل منكم فى الاجازة الصـــيفية ؟

وتعددت الاجابات المضـــحكة : « كنت ألعب الطاولة مع زملائى بالقرية » ، « كنت أساعد أبى فى الحقـــل » ، « أعدت قراءة كتاب الفقه » ، « كنت أقرأ الجريدة فى دوّار العمدة » •• ولم يصـــل الدور إلىّ • فلم أجب • ولم يسمع منى الأستاذ شـــيئا فى ذلك اليوم • لكنه ثار ثورة عارمة على كل من أجابوا ، واصـــفاً إياهم بأنهم « خُشُب مسنَّدة » ثم راح يشرح لهم أن الثقافة العامة شىء ، والمقرارات الدراسية شىء آخر تماما •

كان هـــذا رأيى الذى آمنت به منذ سنوات ، ولم أجرؤ أن أفاتح فيه أحـــداً من زملائى بالأزهر • وهاهو الرجل الجرىء يعلنه بصراحة ، ويحاسب عليه •• يومها أحسست أننى سأكون تلميذه المفضَّل ، بل صـــديقه •

ولم نلبث أن التقينا • ودعانى الى منزله بشارع محمد على حيث أطلعنى على حجرة مكتبه التى تمتلىء بأندر المخطوطات ، والمطبوعات النفيسة • وهناك حـــدثنى عن أنه يمتلك طبعة دار

الكتب أو طبعة بولاق من كتاب كذا وكذا .. فعلمت أن الكتب مستويات . وهناك علمنى كيف أحترم « الكتـــاب » ، وأقلب صـــفحاته بقدسية ، دون أن يعنى هـــذا عدم نقدى لمؤلفه . وباختصـــار كان هـــذا الرجل هو الثورة التى حـــدثت أمامى داخـــل الأزهر .

عن طريق الســـيد صـــقر ، الذى شـــجعنى على كتابة الشـــعر ، تعرفت فى فصـــوله الأخرى على صـــديقىْ الطريق الشعرى : **محمد حماســـة عبد اللطيف ، وأحمـــد درويش** . كان كل منهما يســـلك — منفردا — نفس الطريق الذى أسلكه . ولم تقف فى سبيل تعارفنا السريع عقبة . فبدأت بينا صداقة عميقة ، مازالت مستمرة حتى اليوم .

تميزت هـــذه الصـــداقة بطابع خاص . فقد قامت على أن ثلاثتنـــا نكتب الشـــعر ، وبذلك فنحن مختلفون عن باقى الزملاء فى المعهد الدينى . ثم إننا نقرأ كتبا ثقافية كثيرة غـــير الكتب المقررة ، وهـــذا يزيد من توحـــدنا . وصار كل واحـــد منا ما أَنْ يكتب قصـــيدة حتى يسرع الى زميليه ليُطلعهما عليها : وهما ينقـــدان ، ويصححان ، وأحياناً يغـــيران بعض

الكلمات •• من أجل أن تظهر قصيدة صاحبهما أمام « الآخرين » متماسكة وجيدة •

كان أحمد درويش يسكن فى شبرا ، وحماسة فى السيدة زينب ، وأنا فى الدرب الأحمر •• ومع الوقت صارت هذه الأحياء الثلاثة مألوفة لنا جميعا •• نتبادل الزيارات فيها سيراً على الأقدام ، ولا يكاد يمر يوم أو اثنان بدون لقاء ثنائى أو ثلاثى •• وأحيانا ما كنا نبتعد قليلا فنعبر حى جاردن سيتى الهادىء الى شاطىء النيل ، الذى كان يحلو لنا أن ننظر طويلاً فى مائه !

وفى الاجازات الصيفية ، كنا نتبادل الرسائل • وأية رسائل !! كل واحدة عبارة عن أربع صفحات فولسكاب مليئة كلاماً ، وشعرا ، وأخباراً أدبية •• وكان حماسة منتظماً معى • وأذكر أن والده ، رحمه الله ، شاهد فى يده ، ذات يوم ، إحدى رسائلى اليه ، فعلق مبتسما : « ان هذه جريدة ، وليست رسالة » •• كنت بحاجة الى أن أقول لحماسة كل ما يدور حولى فى القاهرة ، كما كنت أحب أن أسمع كثيرا عن تطوره الشعرى •

فى ذلك الوقت ، لم يعد لى أصدقاءُ شارعٍ ، أو ناصية • فمنذ انتقالنا للمرة الثالثة الى الدرب الأحمر ،

انقطعت صلتى تدريجيا بمنطقة الدراسة وصارت بالنسبة لى كعبة أحلام ، أحج اليها كلما غلبنى الشوق الى ذكرى لحظات عزيزة على القلب ، محفورة بقوة فى الأعماق • ولا أخفى أن هذه الزيارات مازالت تتكرر حتى اليوم ، على الرغم من اختلاف المنطقة بمبانيها ، وشوارعها ، والناس الذين كانوا يسكنون فيها •

عكفت فى سنوات **المرحلة الثانوية** ، التى كانت تمتد فى الأزهر الى خمس سنوات ، على قراءة كمية كبيرة من دواوين الشعر العربى ، القديم والحديث ، ولم يبهرنى فى العصر الجاهلى سوى **طرفة بن العبد** ،بقصائده ، المحكمة البناء ، والعميقة الأفكار • أما كل من **عنترة وامرىء القيس** فقد كنت معجبا بهما كشخصيات اسطورية عربية ، أكثر من كونهما شاعرين حقيقيين • كذلك أعجبنى شعر **عمر بن أبى ربيعة ، ومجنون ليلى وكثير عزة** وفضلت — لنفسى — **جريراً** على **الفرزدق** •• كما أحببت **البحترى** أكثر من **أبى تمام** •• وقرأت **ابن الرومى** أكثر من مرة ، وكذلك **أبا نواس وأبا العتاهية** ، وحفظت كثيرا **لبشار بن برد** ، أما **المتنبى** فقد كان أخلص أصدقائى • ومازلت حتى اليوم أحتفظ بديوانه على مكتبى ، أنظر فيه من وقت لآخر • وكذلك أعجبت **بأبى فراس الحمدانى ، والشريف الرضى** •• هذا

بالاضـــافة الى الشعراء الأقل شهرة ، والذين كنت أقرأ لهم مقطوعات متناثرة فى كتب الأدب والتاريخ •

ومن العصر الحـــديث ، قرأت **البارودى** كأنه « مقـــرر دراسى » ، وكذلك **حافظ ابراهيم** ، أما **شوقى** فقد كان صديقى الثـــانى بعد المتنبى • وعشت فترة طويلة مع شعراء المهجر ، وخاصـــة **ايليا أبو ماضى** ، وأحببت كثيرا شعر **الأخطل الصغير** وتأثرت به •• وهناك شاعر اســـمه **فوزى المعـــلوف** قرأت له قصـــيدة « على بســـاط الريح » فلم يفتر اعجـــابى به حتى اليوم • وكان **لأبى القاسم الشابى** وقـــع خاص فى نفسى •• كما قضـــيت وقتاً طويلاً جداً مع قصـــائد **نزار قبـــانى** •

إننى أترك الكثير جـــدا من أسماء الشعراء الذين أعجبت بهم لأقول إن من ذكرته هنـــا ، ومن لم أذكره •• كانوا يعيشون معى فى حياة فعلية ، وكنت أحس وأنا أقرأ لكل منهم أنه إنمـــا يخاطبنى أنا وحـــدى ، ويحدثنى منفرداً عن همومه وآلامه •

وفى تلك الأثناء ، أهـــدانى السيد صـــقر كتاب (الموازنة بين الطائيين) **للآمـــدى** بتحقيقه : وتفرّغت له ، قرأته بامعان ، وبدأت أتحسس طريقى الى النقـــد العربى القـــديم ، لكن الناقد الذى أعجبنى كثيرا كان هو **عبد العزيز الجرجانى** صاحب كتـــاب (الوساطة بين المتنبى وخصـــومه) •

وكنت قــد عرفت طريقى الى **ســور حديقة الأزبكية** . وأذكر أننى كنت أقضى حوله النهار بأكمله ، متنقلا من بائع كتب الى آخر ، ومقلبا فى آلاف الكتب الملقاة على الرصــيف ، ومشترياً أحيانا بقروشى القليلة أحــدها .. ويحضرنى الآن أننى اشتريت كتاب **(كليلة ودمنة)** بقرشــين ، وحملته بحرص الى مقعد منعزل فى حديقة الأزبكية لكى أكمله طيلة يوم واحد .

كما أتاح لى سور الأزبكية أن أطلع على كثير من الروايات المترجمة عن الانجليزية ، والفرنسية ، والروسية .. وعندما قرأت لهمنجواى « **العجوز والبحر** » حدث انقلاب فى داخلى ، كذلك **آنا كارنينا** لتولستوى ، و**الجريمة والعقاب** لديستوفسكى .. أمــا **بؤســاء** هيجــو ، و**آلام فرتر** ، و**بول وفرجينى** فقــد كانت تبكينى كثــيرا .

أحببت **الرافعى** جــدا ، وصــحبته أكثر مما صــحبت **المــازنى والزيات والمنفلوطى** .

وبالنسبة **لأحمــد أمين** .. لخصــت لى مؤلفاته القيمة كــل ما كنت أقــرأه متناثرا فى الأدب العــربى والتاريخ . أمــا **طــه حسين والعقــاد** فقد احترمتهما معــا ، وقد ظــلا فى رأيى متساويين فى القيمة ، أرى فيهما وجهين مختلفين من وجوه الثقافة العربية الحــديثة .

وذات يوم ، اقترح علينا **السيد صــقر** أن نقوم بزيارة منزل **العقــاد** • وحرصــاً منه على لفت انتباه الكاتب الكبير أوصــانا — حماسة وأحمد درويش وأنا — أن نكتب له قصائد تحيــة •• وبالفعل كتب كل واحــد منا قصــيدة ، وذهبنــا الى ندوة العقاد بمصر الجــديدة ، وكانت أول مرة أشــاهد فيها تلك الضــاحية الجميلة ، وهناك قــدمنا أنفسنا للعقــاد ، وألقينا قصــائدنا أمامه ، وسعد الرجل بهــا كثيرا ، ونهض فصــافح كلاً منــا ، ثم راح يسألنا عن دراســتنا ومعاهدنا فأخبرناه أننا من الأزهر ، فراح يتحــدث عنه وعن مستقبله — وكان يكتب أيامها كتابه عن الشيخ محمد عبده — لكنه أوصانا صراحةً بأن نلتحق بدار العــلوم ، فهى أكثر ملائمة لمواهبنا الأدبيــة •

وفى نهاية الندوة التى تحوّلت تماماً لصالحنا ، قال لنــا العقاد : « احتفظوا جيدا يا أولاد بأستاذكم هذا •• فإنه رجلٌ مجهول القــدر فى هذا البلد » • وقد كان فرح السيد صــقر بهــذه الكلمة بالغــا •• وأثارت فيه مشاعر كثيرة ، فقرر أن يكون اليوم تاريخيا ، وصــحبنا الى منزل صــديقه الأســتاذ **محمود شــاكر** •• وهناك فوجئت بالأسماء التى كنت أقرأ لها فى دار الكتب : ناصر الدين الأسد ، عبد الله الطيب ، احسان

عباس .. يجلسون حول الأستاذ شاكر فى احترام شـــديد ، وتوقير بالغ لكل كلمة ينطق بهـــا .

كان وجودنا — ونحن فتيان — يبعث فى قـــلوب هؤلاء الكتاب الكبار نوعاً من الحنين الى الشـــباب . وقـــد نجحنا يومها فى حمل الأستاذ شـــاكر على انشـــاد قصـــيدته القوية « **القوس العذراء** » ، وهى ثورة نفس مثقفة على كل ما حولها . وأذكر أنه فى أثناء الإنشـــاد ضاق بأزرار قميصـــه ، ففتحها بعنف قائلا :

— لاحظوا يا أبنائى أن الشعر العربى قـــد خلق للانشاد ، وأنه لا تصـــلح معه هـــذه الملابس الافرنجية الضـــيقة ..

.. كان بالفعل يوما ثقافيا حافلاً ، جعلنى أشـــعر أننى اخترت الطريق الصحيح لحياتى : القراءة ، وكتابة الشعر .

كلفنى الأستاذ **السيد صـــقر** بنسخ عـــدد غير قليل من المخطوطات القديمة ، حتى تمرســـت بحل مشـــكلات خطوطها الصـــعبة . ومازلت أذكر أننى نسخت له كتاب « **الإلمـــاع** » للقاضى عياض ، وهو مكتوب بخط مغربى خالٍ من النقط ، وفى وضـــع متهرّئ للغاية . وقد كان نسْخ مثل هـــذا المخطوط يجعلنى أحس بأننى أعرف مالا يعرفه الآخرون من القـــراء ،

بل من المتخصصين أنفسهم • وكان هــذا يمنحنى بعض الزهو ، ويزودنى بقــدرة شجاعة على النقــد ••

ومن مكتبة **السيد صــقر** ، استعرت بعض أمهات التراث العربى : البيـــان والتبيين **للجاحظ** ، وزهر **الآداب للحُصْرِى** ، والعقــد الفريد **لابن عبد ربه** ، وغــيرها • وعلى يديه تعلمت فن التحقيق ، ومقابلة النســخ ، وتمييز الخطــوط ، وتخريج الأحاديث ، والأبيات الشعرية النادرة •

واذا كان السيد صقر هو الذى هوّن بعض أيام الأزهر ، فقــد كان هناك متنفَّس آخر ، يتمثل فى الندوة الأســبوعية التى كانت تعقد فى **جمعية الشبان المسلمين بشارع رمسيس** ، ونحرص على حضـــورها بانتظام ، مستمعين الى محاضرة فى الدين ، أو الأدب •• أو نــدوة شــعرية يشــترك فيهـــا **عبد الله شمس الدين ، وملك عبد العزيز ، ولورا الأسيوطى ، ومحمد بدر الدين ، ومحمــد العزب ، ومحمــود الماحى** ••

وكان هــذا الأخير شاعراً تقليديا ممتازا • اختطفه الموت وهو شـــاب • وقد غنت له **أم كلثوم** قصــيدة كتبها لهـــا عن **جمال عبد الناصر** • كنت شـــديد الاعجاب بهذا الشاعر ، وقد تعرفت عليه ، وقرأ بعض قصـــائدى وعلق عليها ، ولست أدرى

لماذا كنت أحس **بأنه دائم القلق ، متوجس كالطائر ، ولم ينقض** وقت طويل حتى سمعت نبـأ وفاته ، فأحزننى كثيرا •

عقب انتهاء المرحـلة الثانوية ، قررت أنا وأحمد وحماسة أن نترك **الأزهر** — على غير رضـا **السيد صـقر** — الى دار العـلوم • وكانت تختار مائة طالب فقط من أوائل الحاصـلين على الثانوية الأزهرية ، وكنا فى المقدمة ••

كلية دار العـلوم بالنسـبة لى بداية مرحلة هامة • فقد حققت فيهـا معظم تصـوراتى وأحلامى الشعرية ، ونعمت فيها برعاية أساتذة كبار يقدرون الموهبة الشعرية ، ويعملون على صـقلها •• كما أننى التقيت فى أول يوم دخلتها بوجه ملائكى لازمنى طويلا ، وكنت أستمد منـه لطاقتى الشـعرية زاداً متجـددا ••

كل المقررات الدراسية فى دار العـلوم كنت على معرفة سابقة بهـا : إما عن طريق أخى أحمـد الذى دخلها قبـلى بثلاث سنوات ، أو عن طريق قراءاتى الخاصـة بدار الكتب • لكنها تميزت ببعض الجـديد • فهناك د • **غنيمى هـلال الذى** الذى حـدثنا عن النقـد الأدبى الحـديث ، كما تكلم معنـا ، لأول مرة ، عن الأدب المقارن ، **ود • محمود قاسم الذى** كشف لنـا عن قواعـد المنهـج الحـديث فى الفـكر والعـلوم ،

ود • **تمـــام حسان** الذى قـــدم لنـــا مناهج البحث الحـــديثة فى دراســـة اللغة العربية • بالاضافة الى أساتذة الكلاسيكيات العربية من أمثال **د • بدوى طبـــانة ، د • أحمـــد الحوفى ، د • طاهر درويش ، الشـــاعر على الجنـــدى ••**

فى الســـنة الأولى بدار العـــلوم ، اشتركت مع **حماسة وأحمد درويش** ، فى الندوة الشـــعرية التى كانت تعقد أسبوعيا بالكلية ، ويسهم فى التعليق عليهـــا واحـــد من أساتذة الأدب بهـــا • ولاحظت أننا تميزنا عن غيرنا بسرعة •

واقترب موعد امتحان آخر العـــام ، ومع ذلك أعلن عن مسابقة لاختيار شاعرين على مســـتوى جامعة القاهرة كلهـــا ليمثلاها فى أســـبوع شـــباب الجامعات الذى عقـــد بجامعة أسيوط ســـنة ١٩٦٣ • واختيرت قصـــيدتى مع قصـــيدة لمعيد بالكلية ، هو الأستاذ **ســـعد مصـــلوح** • وغامرت بالسفر غير عابىء بالدراسة أو الامتحان • فقـــد كنت أحس — يومها — أننى أسير فى الطريق الذى اخترته لنفسى ، أو بمعنى آخر ، الذى اختارتنى له المقادير •

وكان أســـبوعاً ثقافيـــا حافلاً ، قابلت فيـــه الشـــعراء **محمود غنيم ، وأحمـــد رامى ، ومحمود حسن اسماعيل ••** وحاولت الاقتراب بصـــفة خاصة من هـــذا الأخير ، الذى كنت

أعجب بشعره ، لكنه كان شديد النفور من الناس ..

ومن ناحية أخرى ، كان **المجلس الأعلى للفنون والآداب** نشـيطاً **فى تلك** الفترة ، فأكثر من المسابقات الأدبية ، وكنـا نقـدم فيها قصـائدنا كل عام ، ونفوز بأكثر من جائزة ، حتى لفت هـذا ، فى احـدى المرات ، نظر **يوسـف السـباعى** ، فقال لنـا :

ــ أنتم حتخلصوا كل الجوائز اللى قدامى ..

كنا مدفوعين الى الكتابة أحيانا فى الموضوعات القومية ، لأنها الموضوعات المطلوبة فى المسابقات . لكننا لم نتخل أبـدا عن فننا الشـعرى الخالص ، فتابعنا بوعى حركة التجـديد المهجرى ، وأفدنا منها كثيرا ، كما استوعبنا بسرعة حركة الشعر الحـر ، ورحنا نكتب به ، مع تفردنا بالكتـابة فى الشـكل التقليدى القـديم .

أعجبنا كثيرا **بصـلاح عبد الصـبور** ، وربما أكثر منـه **بعبد المعطى حجازى** ، فى مصر ، **وبالسـياب** فى العـراق .. أمـا أدونيس ، فقـد ظل بعيدا عن أذواقنا .

وهناك شاعر مازلنا نقـدر فنه الأصـيل حتى اليوم ، وهو **محمد الفيتورى** . وقـد صـادقناه لفترة ، وكان يعجب

بما نقول ، ويشجعنا كثيرا ، لكنه ما كان يظهر بيننا حتى يختفى بسرعة •

وكان **أمل دنقل** شاعراً ناشئا ، أذكر أن صلاح عبد الصبور أرسله الى منزلنا بالدرب الأحمر ذات يوم لكى يبلغنى أنهم اختارونى من بين ١١ شاعراً لأمثل مصر فى مهرجان الشعر التاسع • وكان المطلوب أن ألقى قصيدة « **شجرة التوت** » وكان صلاح قد سمعها فى احدى ندوات دار العلوم ، فأعجب بها ، وأحب أن ألقيها أمام الشاعر عزيز أباظة ، حتى يطلعه على لون من الشعر العمودى مكتوب بأسلوب الشعر الحر على حد قوله •

أحببت كثيرا شعر **أمل دنقل** ، وكنت أطلعه على معظم ما أكتبه ، واستنشهده آخر أعماله • والسبب أنه أقام فترة طويلة عند صديق مشترك لنا هو الشاعر **مسعد اسماعيل** فى غرفة ، خفيفة الظل ، كانت ملتقى لنا ، بحى السيدة زينب •• لكننا لم نكن راضين تماما عن أسلوب حياة أمل دنقل : السهر حتى الصباح ، وقضاء وقت طويل بلا قراءة على قهوة ريش ، والتدخين بشراهة ، والبوهيمية التى كنا نعتقد دائماً أنها مفتعلة فى شرقنا العربى •

فى **دار العــلوم ، وفى ندوتها الأسبوعية** ، تعلمنا الكثير عن فن الشــعر : الصــورة الشعرية ، والخيال الشــعرى ، والدفقة الشعورية ، والتطور الداخلى للقصــيدة ، والمعادل الموضوعى ، كما عرفنا معنى الخطابية ، والجهــر والهمس ، ومواقف الانشاد ، والتأثير بالصــورة •• الخ لكننى لابد أن أعترف بأن هذه الأمور ما كانت تقال فى المحاضرات الدراسية ، وإنما كانت تقتصر على ندوتنا الأسبوعية •

إننى أحيى كل من علمونا هــذه الأمــور ، ســواء من الأساتذة فى ذلك الوقت كالدكتور **أحمد هيــكل** ، والمرحــوم **د • عبد الحــكيم بلبع** ، **ود • محمود الربيعى** ، أم من المعيدين اللامعين الذين أصبحوا الآن أساتذة مثل **د • صــلاح فضل** ، **د • على عشرى** ، **د • محمد عيــد** ، **ود • محمد فتوح** •

وتعرفت فى دار العــلوم على صــديق جاء من معهــد طنطا الدينى ، هو **حسن البندارى** ، كاتب قصــة قصيرة ، لكنه تقبل التطور بسرعة ، وراح يطبقه الى أبعــد مدى • فبدأ يكتب القصــة بأسلوب « تيار الوعى » على غرار **جيمس جويس** ، **وفرجينيا وولف** • وبسرعة أيضــا دخل فى مجموعتنا الثلاثية ، فأضاف لها بعدا جــديدا • فقــد أصبح من اللازم أن نقرأ قصصه ، وأن نشترك فى التعليق عليها ، ومازلنا حتى اليــوم

نختلف معــاً أو نتفق : حول ابداعه القصصى المتميز •

كنت دائماً أحب الفن القصصى ، وقــد أفدت منه كثيراً فى قصــائدى ، ومن الواضح أننى استخدمت بعض عناصره المتمثلة فى الحوار ، والمفاجأة ، والحبــكة ، وأسلوب السرد • وقــد تمشى هــذا طبيعيا مع مفهومى للقصــيدة على أنها بناء موضوعى • صحيح أنه يخرج من الذات الموغلة فى خصوصيتها ، ولكنه ما أن يتشــكل على الورق حتى ينفصــل عنها ، وبالتالى يصــبح محتاجاً الى أن يتقوّم بذاته ، وأن يعمــل بحيويته الداخليــة •

عندما التحقنا بدار العــلوم قال لى أحــد المعيــدين : « إن الشــعر لا يدر كسبا • بل انه طريق الفقر • فعــليك بالاجتهاد فى الدراســة ، ولا تدع هــذا الفن الشيطانى يذهب بك بعيدا » وقــد وعيت نصيحته بصــورة مختلفة ، لم يقصدها بالتأكيد • فقــد حرصت أيضا على التفوق الدراسى ، ويرجع الفضل فى ذلك الى صديقى محمد حماسة وأحمد درويش ، وفى الســنة الرابعــة ، حصــلنا ثلاثتنا على الليسانس بتقــدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى • وبذلك حطمنا أســطورة أن الشــعراء لا يجيدون المذاكرة ، والتى كانت شائعة فى الكلية • وممن يستشهد بهم فى هــذا المجال : **هاشم الرفاعى** الذى كان

يرســب فى مــادة النحــو ، **ومحمد الفيتورى الذى لم يكمل** دراســته بدار العــلوم ٠٠

الشــعر وعى ٠٠ والشاعر مسئول وملتزم بل ومنضبط ٠ إنه فى رأينا مبدع نظــام ، ومخترع بنية لغوية وكيان شعورى متناسق الأطراف والزوايا ٠٠ هكذا فهمنا الشــعر من تراثنا العربى ، ولم يضللنا عن هــذا المفهوم ما قرأناه من النظريات النقــدية الحــديثة ، بل إنها عمقت وعْينا به ٠

كان صديقى محمد حماسة شغوفاً بامتلاك مكتبة متكاملة ٠ فكان حريصــا على اقتناء سلســلة اعــلام العرب ، وتراث الانسانية ، والمسرح العالمى ، والألف كتاب ٠٠ الخ ٠ وكنت حريصــاً بدورى على قراءة ذلك كله عنده ، ومعه ٠٠ ومازلت أذكر المناقشات الطويلة التى كنا نديرها حول أحــد الموضوعات فى الآداب العالمية — دون أن تكون لدينا أدنى معرفة بلغــة أجنبيــة ٠

لكن فى دار العــلوم تقليداً طيبــاً ، هو أن تبعث ، من وقت لآخر ، بمجموعة من أبنائها المعيدين الى الخارج ، للحصول على الدكتوراه فى الجامعات الغربية ٠ وقــد أتيح لنا ونحن طــلاب أن نلتقى باحدى هذه الموجات العائدة لتوها من أوربا : **د٠ الطاهر أحمد مكى** العائد من أسبانيا ، **ود٠ محمود الربيعى ،**

د٠ حمدى السكوت ، د٠ عبد الحكيم حسان ، د٠ السعيد بدوى ٠
العائين من انجلترا ٠٠ وما أسرع ما اقتربنا منهم ، وأفسحوا بدورهم لنـــا مكاناً فى مجموعتهم ٠ وفى جلساتهم الخاصـــة ، كنا نصـــغى بخشوع وشـــوق الى كل ما يقولون ، عن ذلك العالم البعيد ، فى الجانب الآخر من البحر المتوسط ٠٠

تخرجنا من الكلية ســـنة ١٩٦٧ ، وهى ســـنة النكســـة المشئومة ٠ وتم تكليفنا معيدين : كل فى قسم مختلف : حماسة فى قسم النحـــو ، وأحمد درويش فى قسم النقـــد والبلاغة ، وأنا فى قسم الفلسفة الاســـلامية ٠ ولم يسخط أحـــدنا على هـــذا التوزيع ، بل على العكس ، وجـــده ملبيا لحاجـــة فى نفســـه ، وملائما لشىء خفىّ فى أعماقه ٠

لم تمنعنا طبيعة الوظيفة الجـــديدة عن استمرارنا فى أداء دورنا الشـــعرى فى الكلية ، وخارجها ٠ فقـــد شاركنا الأجيال اللاحقة لنـــا فى جميع الندوات ، وأكاد أقول : إننا كنا أكثر التصـــاقاً بهم ، وتشجيعا لهم ٠ وأذكر من هؤلاء الشاعرين : **مسعد اسماعيل ، وعبد اللطيف عبد الحليم ٠**

وكان **عبد الرحمن الشرقاوى** قـــد كتب مسرحيته الشعرية « الفتى مهران » وكتب **صـــلاح عبد الصـــبور** « مأســـاة الحلاج » ٠٠ وأعجبت كثيراً بهـــذين العملين ٠٠ وآمنت بدور

المسرح الشعرى ، فكتبت ثلاث مسرحيات بالشـــعر الحر : الأولى بعنـــوان « **درويش الســـقا** » وهى تصـــور استئثار محمد على بالسلطة بعد توليه حـــكم مصر بمساعدة الشعب ، وقـــد مثلها فريق التمثيل بدار العـــلوم ، كما أعيد عرضها فى القاعة الكبرى بجامعة القاهرة ، والثانية بعنوان « **أربعة رجال فى خنـــدق** » عن انسحاب الجيش المصرى من سيناء عقب نكسة ١٩٦٧ ، وقـــد مثلت أيضا بدار العـــلوم •• والثالثة بعنوان « **الأشجار ترتفع من جـــديد** » وموضوعها المقاومة الفلسطينية فى مدينة غزة • وأرجو أن أتمكن من نشرها جميعا فى فرصـــة ملائمـــة •

وفى ســـنة ١٩٧٠ جندت فى الجيش • وتصـــادف أنهم طلبوا دفعة من ذوى المؤهلات العليا نتعلم **اللغـــة الروســـية** ليصـــبح أفرادها مترجمين بين الخبراء الروس ، والضـــباط المصريين • وعلى الفور ، رحبت بالانضـــمام الى هذه الدفعة • وكان معظمها من المعيدين فى شتى الجامعات المصرية •

وفى تلك الأثناء ، توفيت **أمى** : وكانت أول صـــدمة موت يشهدها منزلنا منذ ولدت • ولم أستطع البكاء ، واختزنت الحزن العميق لأيام عـــديدة ، كتبت فى نهايتها قصـــيدة « **المســـاءُ الذى ألعنـــهُ** » ، التى نفثت بهـــا بعض ما بى • لكننى وجدت

فى دراســة اللغــة الروسية ملاذاً آخر ، أدفن فيه أحزانى . وكانت مُدَرّسة فصــلنا **إليانا باريسى** امرأة فاضــلة ، كبيرة السن ، وغاية فى حسن الخلق . عاملتنى منذ اللحظة الأولى كابن . واختصتنى دون زملائى بالكثير من عطفهــا ، وكانت تتمنى أن أترجم — بعد أن عرفت أنى شــاعر — **بوشــكين** الى اللغة العربية ، لأنها لاحظت أن الناس هنا لا يعرفونه . والواقع أنى أحرزت تقدما كبيراً فى تعــلم اللغة الروسية ، تلك اللغة الرشيقة التى يجهلها معظم المثقفين العرب ، مع أنهــا أقرب روحاً الى روح اللغة العربية ، والأدب المكتوب بهــا — قبل ثورة ١٩١٧ — أشد صــلة بحالة العالم العربى الحديث .

كنت أقضى معظم أوقات فراغى فى الجيش ، فى ترجمــة بعض المقطوعات الشعرية الروسية ، أو القصص القصــيرة . وقــد زاد ما ترجمته من القصص على عشر ، أرجو أن أتمكن من نشرها مع ما ترجمته من قصص فرنسية فيما بعد ..

كنت قــد وجــدت فى اللغة الروسية فرصــة لتعويض الثغرة الهائلة فى ثقافتى . ولأن دراستى للانجليزية فى كل من الأزهر ودار العــلوم كانت دائماً هزيلة ، فإننى وجــدت فى تلك اللغة الجــديدة تعويضا عما فاتنى ، لاسيما وأن تدريسها

لنـــا كان قويا ، ومركزا ، وأثمر نتائجـــه الملموســـة فى وقت قصـــير جـــدا •

بعـــد خروجى من الجيش سنة ١٩٨٢ ، قويت صـــلتى بأستاذى **الدكتور محمود قاسم** ، عميد الكلية حينئذ ، ورئيس قســـم الفلسفة الاسلامية بهـــا • كان أستاذا عظيمـــا بمعنى الكلمة • فهو يقرب تلميذه مع حفظ حـــدود استاذيته ، ويشجعه فى الوقت الذى يلومه فيه على التقصـــير ، ويظهر أمامه أنه لا يرضى عن الهفوة الصـــغيرة فى البحث العلمى ، فيحث الطالب على أن يتجنب الأخطاء الكبرى • وكان مهتما **بمحيى الدين بن عـــربى** ، فجعلنى أدرس للماجستير موضـــوعاً عنه ، وقرأت معـــه ، وعلى مقـــربة منـــه ، كتـــاب « **الفتوحات المكيـــه** » ، تلك الموسوعة الروحية الضـــخمة التى تضم شـــتات التراث الدينى كله •

ومن خـــلال ابن عربى تعرّفت على التراث الصـــوفى فى الاسلام ، وهو كنز لم يكتشف بعد •• ومن المؤسف أنه مطمور وسط حشد هائل من الخرافات ، والآراء المسبقة •

كان الدكتور قاسم هو معلمى الثانى ، بعد السيد صقر • ومازلت أعتبره الثورة الثانية التى بلورت الكثير من أفكارى فى دار العـــلوم •

وفى لحظات من الصـــفو الروحى بين الأستاذ وتلميذه ، كان د • قاسم — رغم نزعته العقلية الصارمة — يوصـــينى بألا أترك كتابة الشعر ••

الصـــدفة وحـــدها هى التى أتاحت لى فرصـــة **الســـفر الى فرنســـا** • فقـــد ظهر اعلان بالجرائد ، يقول إن من ينطبق عليه كيت وكيت من الشروط يتقدم • وهـــذه أماكن البعثـــات وموضوعاتها • وقدمت ، فقبلت •

وكانت هـــذه البعثة ، من ناحية أخرى ، فرصة لاتمام اجراءات زواجى • فقد صحبت زوجتى فى اليوم السادس من الزفاف الى باريس ، دون أن يعرف أحـــدنا كلمة فرنســـية واحـــدة • وكانت تجربة صـــعبة ورائعة ، خضناها معـــا ، وقـــد مضى عام كامل ، قبل أن أكتب قصـــيدة « **باريس** » التى أسجل فيها لحظة نزولنا الى **مطـــار أورلى** ••

فى باريس رأيت العالم كله • وعشت حوالى سبع سنوات فى بيئة تموج بالحركة ، والحيـــوية ، والتحـــدى •• لا شىء يقف • المتوقف ميت • والمبطىء محـــكوم عليـــه •• الجميع مسرع • وجـــديد اليوم قديم غدا • والاختراع هدف الجميع ، والمحاولة مســـتمرة ••

وكانت أصعب الأيام تلك التى رحت أتعلم فيها اللغة بعقل كبير ، ولسان طفل صغير •• لكننى تذرعت بالصبر ، وكافحت اليأس والملل ، وأخيراً بدأت أقرأ •• وأذكر أننى كدت أطير من الفرح عندما انتهيت من قراءة رواية « **الغريب** » **لألبير كامى** دفعة واحدة ، على غرار ما كنت أفعل فى قراءة رواية باللغة العربية •

وفى كل من مكتبة **جامعة السوربون** التى التحقت بها ، **والمكتبة الوطنية بباريس** انفتحت عيناى على كنوز العالم الفكرية والأدبية •• وهكذا عوّدت نفسى أن أقسم قراءاتى بين الفلسفة والأدب •• وشعرت بأننى فى حاجة لكى اطلع الآخرين على ما أقرأه وحدى • وفتحت لى مجلة « **البيان** » الكويتية صفحاتها • وما لبث أن كافنى رئيس تحريرها **د• سليمان الشطى** بأن أكتب للمجلة « رسالة أوربا » كل شهر • وقد ألزمنى هذا بكثرة القراءة ، وتنويعها بأقصى قدر ممكن ، الى حد أننى كنت التقط بعض الأحداث الثقافية من الراديو والتلفزيون الفرنسيين •• وكلاهما جامعة ثقافية حية ومتطورة •

وفى باريس ، التقيت بمعظم المستشرقين الذين كنت أقرأ

لهم بعض ما ترجم الى العربية : هنرى **لاوســت** ، وشـــارل **بيـــللا** ، وهنرى **كوربان** •• وروجر**أرنالديز** الذى أشرف على رســالتى فى الســوربون •

وفى باريس أيضــا ، عرفت طريقى الى **اليونســكو** • وهناك كلفونى بترجمة عــدة أبحاث فرنسية الى اللغة العربية • ولا أخفى أننى لم أستطع أن أمسك دمعتين صغيرتين ، وأنا أصــعد ذات يوم فى أسانسير اليونســكو ، متذكراً ذلك القارىء الصــغير الذى كان يعبر شارع الدرب الأحمر ، وهو فى طريقه الى دار الكتب المصرية بباب الخلق ••

وفى باريس ، التقيت بأستاذى القديم **فتحى عبد المنعم** • درّس لنــا مادة التفسير والحــديث بالأزهر • وكان أستاذا ممتازا ، لم يمنعه كف بصره من التأنق فى ملبسه ، كما أنه كان لا يرتدى الزى الأزهرى المعهود • وأذكر أنه حــدثنا ذات يوم فى الفصــل عن طموحه الى أن يكون : طه حسين الثانى •• وأعتقد أنه كانت لديه كل المقومات ليكون كذلك •

استقبلنى فتحى عبد المنعم كصــديق • وكنا نتزاور • وهو انسان على درجــة عالية من الثقافة والرومانسية : وفى جلساته ، كنا نتحدث عن نهضة الشرق ، وتقدم العالم الغربى ،

ونتذوق بعض آيات من القرآن الكريم ، وكان يحلو له أن يتطرق لذكر لقائه بأم كلثوم عندما زارت باريس ، وهو يذكر كل كلمة جرت فى هـذا اللقاء •• وهكذا كان حديثه مفيداً وممتعا •

وقبل أن يغادر باريس الى القاهرة ، كتبت له قصـيدة تحية ، وقـد أصرّ على أن أسجلها له على شريط كاسيت • وعلى الرغم من عـدم احتفاظى غالباً بقصـائد المناسبات ، فقـد آثرت أن أنشرها فى الديوان : ذكرى وفاء لهذا الرجل الذى اختطفه الموت فجـأة ، وكنت أتمنى أن ألتقى به مـرة أخرى فى القاهرة •

لم يكن فى فرنسـا ما صدمنى كثيرا • وكأننى من قراءاتى عنهـا ، وتخيلى لها كنت أراها للمرة الثانية • الشىء الوحيد الذى كان يبهرنى هو ذلك التقدم التكنولوجى الهائل فى وسائل المواصـلات والاتصالات والصناعات الدقيقة • أما البحيرات ، والغابات ، والقصـور ، والتماثيل ، والبيـوت القـديمة فى الشوارع العتيقة فقـد كان مرآها يؤكد فى عينى تلك الصـورة القديمة التى حفظتها لها فى ذهنى ••

لقـد كتب **توفيق الحـكيم** عن رحلته الى باريس ، ومن قبـله **رفاعة الطهطاوى** ، وفيما بعد **يحى حقى** •• ولم يتحدث

واحــد من هؤلاء عن منظر سيء رأيته فى باريس ، وأعترف بأنه كان يملؤنى بالغضب والاشــمئزاز : فى فنــاء **الكوليج دى فرانس** ، بجوار جامعة السوربون ، تمثال ضخم **لشامبليون ،** الذى حل رموز حجر رشــيد ، واحــدى قدميه موضــوعة تماماً فوق رأس فرعون مصرى .. طبعاً الفنان الذى صنع هذا التمثال المنفرّ أراد أن يقول إن شامبليون قــد ســيطر على الحضــارة المصرية القديمة بحــله رموز اللغة الهيروغليفية .. ولكنه عبر عن هــذا المعنى بأسلوب يثير الاشمئزاز لدى أى مصرى ، يعتز بماضــيه .

وعندما زارنى فى باريس صديقى العزيز **د . السعيد بدوى ،** اصطحبته الى هــذا المكان ، ورأى التمثال معى ، وأعتقد أنه شاركنى نفس الشــعور .

وأنا الآن أنشر هــذه الملاحظة ، فربما يعيد الفرنسيون النظر فى هــذا التمثال — أو حتى فى مكانه — خاصــة وأنه يتوسط فناء أعرق معهد علمى فى فرنسا كلها ، ويقصده العلماء من شتى بقاع العــالم .

عــدت من فرنسا فى بداية ١٩٨١ ، بعد أن حصلت على دكتوراه الدولة فى الفلسفة بمرتبــة الشرف **الأولى** . وكان **لأستاذى** المستشرق الكبير **أرنالديز** أكبر الفضــل فى رعايتى .

وهو عالم جم التواضـــع ، واسع المعرفة بالثقافات اليونانية ، والألمانية ، والفارسية فضـــلا عن العربية ، وقـــد وجهنى لنقاط هامة تتعلق ببحثى فى كل هـــذه الثقافات • كما كان يعاملنى معاملة خاصـــة ، فقـــد كانت كل لقاءاتى معـــه لا تتم إلا فى منزله • إننى أدين له بالكثـــير ، واعتبره وجهـــاً مضـــيئاً لفرنســـا كلها •

بدأت التدريس فى دار العـــلوم • ورحت ألقى عـــلى الطـــلاب محاضرات فى مناهج البحث ، التى كان يدرسها لنـــا المرحوم د محمود قاسم ، كما درست لهم موضوعات متفرقة من الأخلاق الاســـلامية ، والتصـــوف الاســـلامى ، والفلســـفة الاســـلامية •

ومـــع ذلك ، فقـــد ظل الشـــعر هـــو هوايتى الأولى • ولم أترك الفلسفة تطغى عليه فى يوم الأيام ، بل على العكس ، كما قلت للشاعر الصديق **الأستاذ فاروق شوشة** ، فى حـــديث اذاعى ، إننى أعتبر الفلسفة تعطى للشعر عنـــدى بعداً أكثر عمقاً وخصـــوبة ، واننى أستغلها لصالحه ، كما أننى من ناحية أخرى أفضـــل أن أتناول القضـــايا الفلسفية بروح شعرية •

لكننى لا أنكر أن الرحلة الى فرنسا قـــد أثرت فى تصورى

للشـــعر كثيرا • وأولى علامات هـــذا التأثير أنها قيدت قلمى عن كتابة الشـــعر الى حـــد كبير • والواقع أن مفهومى للشعر قـــد تغير كثيرا بعـــد قراءتى أعـــلام الشعراء الفرنسيين من أمثـــال **أراجـــون** ، **وبول إلوار** ، **وجاك بريفير** الذى نشرت له عـــدة قصـــائد مترجمة فى مجلة البيان الكويتية •

إن القصـــيدة لدى أى من هؤلاء الشعراء موضوع قائم بذاته •• بناء متكامل ، له معماره الخاص به ، وله خطـــوطه الهندســـية الدقيقـــة ، وله روحـــه الذى يسرى فى أوردته وشرايينه • ثم هى بعـــد ذلك كله عمـــل مرتبط بصـــاحبه ، وبتطوره الفكرى والنفسى ، وأهم من ذلك بموقفه الأيديولوجى •

إننى هنا لا أتحـــدث فقط عن الشـــعراء الفرنســـيين ، بل الشعراء الغربيين عموما ، الذين قرأت لهم ، وأعجبت بهم ، وترجمت لهم أحيانا •

الشاعر الغربى يصـــنع من قصـــيدته تمثالا ، ثم يقوم بإزالة آثار الصـــنعة عنه ، حتى يبدو كأنه غير مصنوع • وهذا هو السر الذى يُرجَى اكتشـــافه •

الشاعر الغربى يجعل من قصـــيدته تحليلا نفسيا دقيقاً ومتدرجا ، يتوقف فيه طويلاً عنـــد مناطق التأثير ، ويتجاوز

مناطق أخرى كثيرة ، مهملة أو عديمة القيمة • وهو يفعل ذلك عن وعى غير محسوس ، أو هكذا يبدو للقارىء •

الشاعر الغربى حــر تماماً فى تناول موضوعه ، حر تماما فى التعبير عنه ، حر تماماً فى تقديمه للناس • لكن هــذه الحرية المتعددة الأوجه محــكومة بتراث طويل من النقد الصــارم ، والتقاليد الأدبية الراسخة ، التى يعتبر الشاعر نفسه مسئولاً عن احترامها ، وعن كونه استمراراً لها •

ثم إننى ألاحظ أن الشاعر الغربى يتمتع بطبيعة غنية ، قــد تكون أحيانا قاسية ، ولكنها غنية جــدا ، كمــا أنه على صــلة مباشرة مع هــذه الطبيعة • فالشاعر الذى يسكن المدينة لا يبعد عنه الريف كثيرا • إنه على قيــد خطوات منه ، يزوره فى رحلته الأسبوعية ، ويوميا لو أراد •

كما أن ظاهرة المطر الغزير ، التى تشــمل أوربا كلهــا ، وتستتبعها مجموعة أخرى من الظواهر الهامة ، تعمل عملهــا الفعال فى تكوينات شعرية بالغة العمق والتأثير •• ان فصول الســنة الأربعة أكثر وضوحاً فى الغرب منها فى الشرق • ولذلك فإن إحساس الشاعر الشرقى بهــا أقل حــدة ، وبالتالى فإن إحساسه بالزمن عموماً أقل وضــوحا •

وفى النهاية لا ينبغى أن نغفل عامل البيئة الثقافية المتيقظة لكل ما يظهر فيها من انتاج أدبى . فالقارىء مهتم ، والناقد متتبع ، وأجهـزة الاعـلام ، التى تطورت كثـيرا فى الآونة الأخيرة ، لا تكاد تترك صغيرة إلا أشارت اليها ، وكأنها تحس بأن مسئوليتها تكمن فى ألا يفوتها شىء !

وأصرح فأقول إننى أصبحت أخشى من كتابة الشعر ، بعـد أن عشت فى هـذا الجو فترة طويلة . ولكننى أعـود فأقول لنفسى : إن واقعى مختلف ، فالقـارىء المهتم نادر ، والناقد المتتبع مفقود ، وأجهزة الاعـلام أقل من المسـتوى الأدبى بكثير ، وإن كانت متفوقة فى ميادين أخـرى . لذلك فعندما أكتب قصـيدة أكتبها لنفسى . ولا أكاد أُطلع عليهـا إلا خاصة الأصدقاء ، وأحيانا أتكاسل ، فأخفيها بين أوراقى ، وربما مضى الزمن ففقدتها فى زحمـة العمل والحياة .

لقـد سبق أن نشرت مع صديقىّ : أحمـد درويش ، ومحمـد حماسـة مجموعتين شـعريتين : الأولى بعنـوان **(ثلاثة ألحـان مصرية)** صـدرت عن الهيئة العامة للكتـاب بوزارة الثقافة المصرية سنة ١٩٧٠ ، وقدم لها الأستاذ الدكتور **أحمـد هيـكل** . وهى تضم لى سبع قصـائد عمودية . وقد ظلت هـذه المجموعة حبيسة فى مكاتب الهيئة الى أن أطلقها من

عقالها الشاعر **صـــلاح عبد الصـــبور** • وأذكر أنهم أعطونى مكافأة عنها خمسين جنيها ، خصمت منها الضرائب حـــوالى ستة عشر جنيها •• ثم ما لبثت مصلحة الضرائب أن طالبتنى بضرائب أخرى عنها ، وأدرجت اســـمى فى ملفاتها على أننى « **مؤلف أشـــعار** » !

أما المجموعة الثانية ، فكانت بعنوان (**نافذة فى جـــدار الصـــمت**) ، ١٩٧٤ صدرت عن مكتبة الشـــباب التى أساءت توزيعها ، وقد كتب مقدمتها الأستاذ الدكتور **محمود الربيعى** • ورغم أنه نبّـــه النقاد الى بعض التجارب الناجحة لدى الشعراء الشبان الثلاثة ، فإن أحـــداً لم يستجب لهذا التنبيه • وظلت المجموعة معروفة فقط من بعض الأصـــدقاء ، وبعض طـــلاب دار العـــلوم •

فاذا أضفت الى ما سبق ، أن كثيراً من أخطاء الطباعة قد وقعت فى المجموعتين ، ولا سيما المجموعة الثانية •• تبيّن أن اعادة نشر قصـــائدهما قـــد أصبح واجباً على • ثم وجدتنى مدفوعاً الى أن أضـــم اليها كل ما كتبته من قصـــائد سابقة عليها ، أم تالية لها • وجعلتها فى ثلاثة أقسام : قسم اخترت فيه عدداً قليلا من شعر المرحلة الأولى ، وقسم المرحلة المتوسطة

الذى ارتبط بدار العــلوم ، ثم القسم الأخير الذى كتب فى باريس وما بعــدها .

وقــد وجــدت من غير المعقول أن أطلق على كل هــذه القصــائد اسم قصــيدة واحــدة ، كما يفعل شعراء عصرنا . فأنا لا أنوى أن أنشر فى كل عام ديوانا .. لهذا أطلقت عليها عنــوان « **ديوان حامد طاهر** » مستنداً الى تراثنا الشــعرى فى الثلاثينات والأربعينات من هــذا القرن ، عندما كان الشعراء يفعلون ذلك ، دون أدنى حساسية !

بقى أن يكون هناك هــدف محــدد من نشر كتاب على الناس ، وأسارع فأقول : إننى لا أتوجه بهــذا الديوان الى النقاد ، فأنا يائس منهم . ولا الى أجهزة الإعــلام فأنا زاهد فيها .. وإنما الى القرّاء الذين يحبون الشــعر ، أو الشعراء الشبان الذين يحبون القراءة .. ولابد أننى واجــد فى هؤلاء بعض من ينفعل ، أو يستجيب ، أو يقضى وقتا طيبا ..

يولية ١٩٨٤ — **حامد طاهر**

من قصائد المرحلة الأولى

ثورة الإحساس

الشـــاعر :

الفــراغ الرهيب ملءُ حياتِهْ
فارحمى شجوه ، وطول شــكاتِهْ
إنه فى حماكِ يقتلع الطين ، ويمضى مخلّفاً بصماته
رافعاً للســماء قلبــاً كبــيرا
يتهــادى الخشــوع من خفقاته
ناسجاً تحت سُدّة العرش عشاً
ربمــا كان مسجداً لصــلاته
من ضــــلوع تيبّست ، ورموش
أســقطتها الأحــزانُ فى عبراته

❋ ❋

ارحميه •• فقد تنازعت الأرض خطاه ، وضلّلت نظراته
صار لايعرف الطريق إلى الفجر ،وأضحى يتوه فى جنباته

كلمــا شـــفّ نهــره كدّرته
قطــرات ينبعن من رغبـــاته

كلمـا صـافح النجـوم تهـاوى
ســاعداه .. لمـا يجـول بذاته
من حنـين إلى الثرى فى دمـاه
وعُطاشٍ إلى الدجى فى لهـاته

الملهمـة :

يا جناح الإنسان .. رفقاً بجسم
شـدَّه الطين ، واحتـوى نزعاته
ثـم ألقـاه فى فـراغ عميق
كلَّ يوم .. ينهـار فى طبقاته
لم يزل هكذا .. يسير إلى القاع، وروح السموم غاياته
تتراءى لعينـه من بعيـد
ثم تخفى على صـدى عثراته
ومَضَّة تعبـر الفضـاء ليبقى
غليـان النـيران فى زفـراته

الشـاعر :

تَعِسَ الجسم .. ما أردت عـلاه
فاسـحقيه ، وبعثـرى ذرّاتِه

يا رياح الفنـــاء ثورى عليـــــه
واطعَمى يا نســـور كلَّ رفـــــاته
لا تبقّى •• فكله لعنـــــــــاتُ
نَـوْتُ من حمـــله ، ومن لعناته

واسطعى أنت •• يا مطهِّرة الروح عليه ••لتغسلى خطراته

ثم سيرى به •• إلى حيث يعـــلو
عن وحول الثرى ، وعن ظـــلماته

الملهمــــة :

لا تحلقْ •• فأنت للأرض ــ مهما صرت ــ قلب يعيرها دقاته

فيـــداوى جراحهـــا إن تنزّتْ
ويفـــدّى حياتهـــا بحيـــاته
قـــد تغنى لهـــا •• وروحك باك
ما أجلّ الإنسان فى تضـــحياته !
قـــد يذوب الوجدان منك ، ويفنى
ما الذى تســـــتفيده من ثباته ؟
ثم قـــد تشـــــهد النكير يدوّى
بعـــد هــذا •• فلا تُصخ لدعاته

الشـــاعر :

إيه يا غادتى .. حـديثك صـافٍ
فامنحينى الكثـير مـن كلمـاته
وامسحى فوق مزهرى .. فسأمضى
عازفاً للوجـــود فى مأســاته
ربّمـا هـزّه الغنـــاء ، فألقى
رمحــه ، واســتراح من طعناته
ربما اخضوضر السلام بجنبيه، وعاد الندى الى زهراته
يومهـا .. أعبر الطريق ســعيداً
بسـموّ الإنســان فى غاباته

فبراير ١٩٦٢

أغنية الراعى

من ربوةٍ خضراءَ نائمـــةٍ بأحضـــان الجَبَلْ
ســاق النسيمُ الصَّبُّ أغنيــةً كرَنّات القُبَل
يشدو بهـا راع ، خلىُّ البــال ، مشــبوبُ الأمل
متفائلُ برحــابَه الآفــاق ، والعُشــب المُطِلْ

* *

•• وتذكّر الراعى دعــاء الأم فى غبش الصــباح
« اذهبْ بنىّ إلى سبيل الرزق •• يصحبك الفلاح »
« واحذر من الذئب اللَعين ، وما تخبّئه الرياح »
« بل عدْ سريعاً يا بنىّ •• فكم أخاف من البطاح ! »

* *

ومضى يعيـــد خيالُه طيفــاً لســلمى مشرقا ••
كبـــداية الفجــر الوليــد ، اذا سرى وترقرقا
كالبــدر فى أفق الســماء ، وقــد ســما وتألّقــا
كالزهر بلّله النـــدى فبــدا جميـــلا مطــرقا

* *

أَوَهكذا جــاءت ســليمى عنــدما كان اللقــاءْ ..
تخطو .. كما يخطو الغزال اذا تخطَّر فى حيــاء
ضــحكاتها النشــوى تكسَّرُ بين طيــات المســاء
فتذوِّب الألم الأليــم ، وتبعث الأمــل المُضــاء

* *

ومضى يهدهــد قلبــه الخفّاقَ من لَهَف الغــرام
ويداعب الناىَ الحنــون بأغنيــات من هيــام
تنساب فى غَيَد الهــدى ، وترنّ فى ســمع الغمام
وفؤاده الخفّاق ينعم بالســكينة والســلام ..

* *

وعلى نُبــاح الكلب .. أخــلد للطريق المكفهرْ
ملأته أصــواتُ البنــادق فى جنــونٍ مســتعرّ
كعواصــف غضــبى .. تبعثر كل أوراق الشــجر
وتبيــد ما زرعتــه أيامُ الخصــوبة والمطــر

* *

وتوقف الراعى يرى : مــاذا ســيفعله الطغــاهْ
بالأمس كان أبــوه يرعى إنهم قتــلوا أبــاه ..

واســتاق جندُهم المُعربدُ مثــن هاتيك الشــياه
وتمثّل الثــأرُ القــديم بقــلبه ، فغلتْ دماه ..

* *

ورأى الجنود تجمّع القطعــان فى عصــف عتىّ
فَعَدا يخلّصــها بكل شــجاعة القــلب الأبى
بعصاهُ .. بالناىِ الحنونِ .. بسوْرة العزم الفتىّ
بالروح .. ينفثهــا من الأعمــاق فى بأس قــوىّ

* *

وعلى الثرى انفجر الدمُ المورُ من جسد الشهيدْ
يغلى بأحقــاد الأسى المكبــوت ، والأمــل الشريد
والناى أخرســه الطغاةُ ، فنــام مختنق النشــيد
يحــكى انطفاء الحق فى الدنيا ، وسيطرة الحــديد

فبراير ١٩٦٢

سفينـــة

أراكِ تنظرين فى وجـــوم شـــاعرٍ •• حزينْ
وتسـكتين فوق صــفحة الميـــاه ، تسـكتينْ
عينـــاك •• لم تعـــدْ جفونهـــا تفيض بالحنـــين
شراعك المرفـــرف الأحـــلام •• مطرق •• مهين
قوادم المجـــداف غاصـــت فى تلال طـــين ••
شـــطآنك الخضراء لا يلـــوح فوقهـــا يقـــين
حـــائرة حبـــالكِ فى مســـتقبل الجنـــين
تشـــكو إلى الربّان •• والربان معتـــم الجبين
رحـــلته بغـــير شـــط •• صـــوته بلا رنـــين
لكنـــه مغـــامر •• ما هـــزّ قلبَـــه أنـــين !
إصراره عنـــاد قلعـــةٍ •• خطـــاه لا تلين

* *

يا دفّـــة الربان •• أين حـــكمة الســـنين ؟
بطنُ الســـفِن مثقلٌ •• فكيف تُبحر الســـفين ؟

* *

مارس ١٩٦٢

الشاعر الأعمى

[الى صديقى الأزهرى العاشق م • ع ••]

طغتْ من سحرها سَلْمى •• فقالت : إنه أعمى
ضريرٌ لا يرى الأشواق فى عينىَّ ، والحلما
وراحت فى إباء الحسن تهدم قلبه هدما
وتطوى أمنيات الحب من أعماقه الهيَمْا

* *

أجلْ أعمى •• ولكنْ فى دمى المؤّارِ أضواءُ
وبين جوانحى فجرٌ من التَّحنان وضّاء
ونهرُ مشاعرٍ بيضاءَ ، لم يكْدُرْ به الماءُ
ودنيا من أغاريد لها بالقلب لألاءُ

* *

أجلْ أعمى •• إذا ما ضلّ فى الطرقات ، أو تاها
ومدّ عصاهُ قبل خطاهُ •• ثم ارتاد مجراها

ولكن إنْ رنــا فى الكون بالوجـــدان •• ألقاها
وجــاوز أعمق الأســوار •• راح يخاطب الله !!

* *

أجلْ أعمى •• كما قالت •• وأعمى لا يرى السحرا
وكيف يحسّ هــذا الحسنَ إنْ ناداه أو أغرى؟!
أنا يــا غــادتى قلب باحساســاته أَدْرَى
يكاد يثيرنى فى الليــل همسُ الوردة العَذْرا ••

* *

أنا لحن •• سرى فى الناى فيضُ جواه ، فاحترقا
وسال على ربى العشــاق ، فاهتزت له نزقا ••
أذبتُ كشــمعة القديس أشـــواقى هنــا أرقا
وعشـــت أصــوغ للآفاق من دنيــا الهــوى أفقا

* *

أنــا قلبٌ يفيض الحبُ والإخــلاصُ من نبعِهْ
ويسرى فى حناياهُ الهــوى ، والودّ من طبعـــه
وهبتُ الناس تغريدى ومــا غرّدتُ فى ربعـــه
وعــدت اليوم ألقــاه غريق العمــر فى دمعـــه

* *

أنا كَرْمٌ .. تكاد الريحُ تُسلمه إلى الرَّمْسِ
وتحرق منـه أزهـار الصبا فى زحمـة اليأسِ
ويسـقط بعدها للأرض حيث معاولُ الشمس ..
هنـا يبكى الهوى كَرْماً غـذاهُ سُلافة الكأسِ

* *

سـيبكيه .. سيبكى الحبُّ فى دنيـاه ، والأَمَلا
سيبكى ساقياً رَوَّى ظِمَاءَ الناس .. ما نَهَلا
وعاش يدير فى الأحباب أكْؤُسَهم ، ومـا ثَمِلاَ
سـيبكيه .. سيبكى فيه ذاك الشـاعر الغزِلاَ

يناير ١٩٦٠

فلسفة المنظار الأسود

أغنيـــاتُ الهزَار والعنـــدليبِ
هِجْنَ في القلب ثورة من لهيبِ

وأثَرْنَ اضطرام ذكرى ، تربَّت
في فضــــاء من الفــؤاد رحيب

كان بالأمس روضـــــةً للتغنّي
وغـــدا اليـــوم مأتماً للنحيب

كلما فجـــرّ الدموعَ ثراهُ ..
صعْنَ في الصدر غابة من ندوب

تتلاقى غصونُها في اشــــتباك
غســـقيّ .. على غــراب كئيب

قام في عشــــه القـــديم يغني
غنـــوة اليأس والأسى والمشـــيب

وانطفاء النهار في قبضة الليل ، وجرح الكسير ، والمغلوب

ويرى الكون .. لا يرى فيـــه إلا
لوحة الجدب ، أو ظلال الشحوب

ويحسّ النسيم .. لكنْ بخـدٍّ
مزّق الشـوكُ من رداه القشيب

* *

ويلوم الذى تجاهل ما بى : « لِمَ تشدو بمزهرٍ مشـبوب »
« فيه تسرى اللحونُ موّارةَ الحزن ، وتخبو عواطف التشبيب »
«أين عرُسُ الحياة، أو بهجة الكون، وأين الهوى، وسحر القلوب»

« كل حىٍّ تبسـمت شـفتاه
ومحيّـاك دائـم التقطيب »

« كل حىٍّ يقول للصبح : مَرْحَى
وأرى فيك لهفـة للغـروب »

« كل حى يعانق الفَرْح إلا أنت .. يا ابن العذاب والتعذيب ! »

قالهـا .. ثم غاب فى زحمة الناس ، وولّى إلى ضجيج الدروبِ
تاركاً فى الضلوع اضرارها المرّ يدوى بأنّةٍ ووجيبِ

« كيف يعطى الوجوَد عنقود خمرٍ
مَنْ سقى الدهرُ كَرْمَه بالخطوب»

« كيف يهتـز للربيــــع ضرير"
فوق عينيــه عصبة" من كروب »
« كيف ينســاب للرياض غــدير
غاض فى ظمأة التراب الجديب »

« كيف ..

يا ابن الحياة ، يا عاشق النور ، أجبنى ..
فما هنا من مجيب ؟! »

ديسمبر ١٩٦٣

الحاقــد

صــديقى به داءٌ تفاقم واستشرَى
وعــادت فنون الطب من بُرْئه حَيْرى

وتمتم آســـيه ، وأطــرق أهـــلُه
وقد سألوا عن أمره البــر والبحــرا

وقالوا أخــيراً : مَسَّه الجن ! ليتهــم
دَعَوْنى ، فإنى بانتكاســته أَدْرَى

أجلْ ليس لى عــلمُ الطبيب ، وإنمــا
صداقةُ أعوام تمزقُ لى الســترا ..

* *

حبْونا على الدنيا صــغيريْن ، وانثنى
بنا العمرُ ، فاستلقت على قلبنا ذكرى

وصرنا إلى عهــد الشباب ، فضــمَّنا
أليفين يغــدو السرّ بينهمــا جهــرا

وكان صديقى — خفَّف الله ما به ! —
حقوداً .. يناجى الليلَ أن يخنق الفجرا

وما هـذه أقصى مناه .. وإنما
يصلّى لرب الخير كى يحبس الخيرا
فإن هو لاقى صاحباً مسّه الغنى
توثّب فى عينيه ما يُشبه الجمرا
وكم كان يلقانى فيبكى مرارة
لأن فلاناً قد تقدّمه شبرا
بذلتُ له نُصْحى قصائدَ .. فالتوى
وقال : عجيبٌ أن تصوّره شعرا !!

* *

كذلك شبّ الحقدُ فى صدر صاحبى
رهيباً يهزّ القلب ، والنفس ، والفكرا
وتسرى دماهُ فى العروق فتنتشى
بما يترك الأعماقَ مجنونةً سكْرى
تعربد بالفوضى ، وتحرق بالأسى
خواطره العُليا ، وأحلامه الخَضْرا ..
فلا هو ريّانٌ بما فى كؤوسه
ولا هو ريّانٌ بما فى اليد الأخرى
حياةٌ تشد الروح للموت غصّة
وموتٌ يعانيه المخيّر مضطرا
مايو ١٩٦٤

نهاية المغامرة

على أى شطٍّ تستريح البواخرُ
ويبلغ ما يرجوه ذاك المغامرُ

ويرضى عن الدنيا ، ويقنع بالذى
تُقدّمه للراغبين المقادرُ

مناهُ يضلّ العمرُ فى جنباتها
وإن سوّرتها بالضلوع الخواطرُ

وتلقاه .. لا تلقى سوى طيف شاعر
قديم تلقّتْه القرونُ الأواخرُ

كتابٌ من الأحزان إن شئت سمّه
وإن شئت : بركانٌ لظاهُ المشاعرُ

اذا رحت تبلوه وجدتَ صراحة
ظواهرها تنبيك كيف الضمائرُ

وكم ضاق بالذكرى تحطم صدرَه
فغنّى غناءَ الروح ، والموتُ زائرُ

لحون كقاع البحر من رهبة الأسى
وصوتٌ كهمس الليل غيمان حائرُ

وفيــه جراحاتٌ من اليــأس شــــقّها
زمــــانٌ بعنف الحادثات مجــاهرُ
يرائى فتصـــــطف الكؤوسُ بكفّــــه
ويرغى ، فتبــدو من يــديه الأظافرُ
وقد عوّدَ الناس الشـّـكاة ، وقلبــه
تحمّلَ فى صمتٍ ، وظــلَ يصابرُ ..
وياكم روى ممــا أحبّ .. وإنمــــا
مباسمُ نجمٍ تحتـــويه الدياجرُ
إذا عبّ منهــا لم يذق من روائهـــا
ســـــوى مــا تريه للظّمــاء الهواجرُ
وقالوا : عميــدٌ أحرق الحبُّ قلبــــه
ولو عقلوا قالوا : حــكيم وشــاعرُ
يهــوّن للأحبــاب أيــام بؤســــهم
ويحنو على من هشّمته الحوافرُ
ويأســو جراح الحاقــدين .. كأنمــا
يؤرّقه ممــــا يعــانون .. خاطــرُ
ودارت به الدنيــا ، فمــا دار عقــــله
وياكم رأينـــا مَنْ تُجنّ الدوائــرُ

هو العيشُ صــخرٌ كله .. غــير أننــا
على دربه العــاتى .. نظــل نخاطرُ
ونجنى الأسى من كل حقــل نرُودُهُ
ونلقى المنى وهمــاً برَتْه الخــواطرُ

* *

إلهى .. لقــد طــال السُّرى ، وسفينةٌ
على الموج تبغى الشطّ ، والبحر ساخرُ
فمــدّ يــداً نحــو الشراع ، تســوقه
إلى غايةٍ ، تعـــلو ثراها المقـــابرُ
وتحـــلو لديهـــا رقـــــدة أبديّة
تلملمُ ما يرجــوه ذلك المغــــامرُ ..

مارس ١٩٦٤



قصائد المرحلة المتوسطة



مشهد من مسرحية مرفوضة

المنظـر : « قيثارة ‥ تقلصت أوتارها من الجليد
سوى وتر
انساب منه اللحن في ضراوة الشرر
للجالسين تحت سدة من المطر
عيونهم مشدودة إلى نهاية الطريق
هناك حيث لا يلوح أى شىء
وحيث يظلم الأفق ... » .

— يا إخوتى
ماذا يشدكم إلى هناك ؟
— ألست من بلادنا ؟
— بلى ‥ مسافر على المدى غريب
— إذن فأنفك احتوى تراب كل الأرض
— وكيف ؟
— لأننا نعيش فوق ذلك التراب
وكلما هوت أنوفنا عليه
استفت الكثير من ذراته السوداء
فضاقت الصدور عن تنفس الهواء

وأصبحت قلوبنا تضـيق بالمكان° ..
عندئذ نخرج للطريق متعبين°
عيوننا مصـلوبة على نهايتـه° ..
لراهب يجىء كل عـام°
فى كفّه مروحة ُ الغفران°
يهـوى بريشها على أنوفنـا
فتنطلق°
من حُبْسة الثرى أعماقـُنا المكتوفة ُ الأنفاس°
وهكذا نصـافح الحيـاة من جديد ْ

— يا إخـوتى ..
معذرة ً اذا فجأتكم بأسـوأ الخبر°
راهبكم دفنتـُه من ليلتيـْن ..

[أصـوات غاضـبين ..]

— شر ٌ حملتَه لنـا ..

— الشـؤم ُ فى خطـاك ..

ـ من قَتَلَه ؟

ـ ما كان فى جثمانه مكان قتْل !

ـ إذنْ .. فكيف ماتْ ؟

ـ معذرةً يا إخوتى إذا فجأتكم بأسوأ الخبرْ
لقد وجدت أنفه من التراب .. سُدْ

يولية ١٩٦٣

الحب .. والأشياء

•• وأمام الواجهة الملأى بفساتين الصـيف ،
وأشـياء الزينـه ؟
كانت تتوقفُ عيناكِ على ثوب معروضٍ فى زاوية ملعونه !
وتشـدين بكفيك ذراعىَ :
— ما رأيكَ ؟
— لا طَعْمَ لهُ !
ونشقّ زحامَ الناسِ ،
نشقّ زحام الناس بخطواتٍ •• مطعونه !

* *

وعلى شـط النيل الممتدّ
كنا نمشى سـاعاتٍ لا نُجْهَد
ونحاول أن ننسى لون الفسـتان
فنقولُ كلاماً حلواً عن غدنا المفروشِ بورد
وكثيراً ما كنتِ تغنين « قصـيدتىَ الأولى •• »
تلك الكلمـات الخجلى •••
عن عينيـكِ
وأشـواقى

وليالى السُّهدْ !
فإذا جاء الليــل ، رجعنــا
أَقسمنا .. أنَّا أروع من هــذى الدنيــا ..
والخدُّ على الخــدّ !

لَيْــــلَى
كم من صــيفٍ ولّى !
واليوم أعودُ إلى واجهــة الأمسْ
فى جيبى ثمنُ الفســتانْ
عينــاىَ عليــهْ
لكن ذراعىَ مرخاهْ ..
مرخاةٌ فى يأسْ !

اكتوبر ١٩٦٤

البقــايا

المصابيحُ فى الطريق الطويلهْ والخطى تنقر المســاءَ عليلهْ
ورذاذُ الأمطار يـَعـْلـَق بالمعطفِ ، والريحُ قبضةٌ مجهولهْ
صفعتْ وجهىَ النحيلَ ، وهزّت أفرعَ السنديانة المجدولهْ
وتلفتُّ .. ما هناك سوى النيلِ ، وذكراك ، والظلال النحيلهْ
وحكايا من الصبا .. لا تقولى : «رحم اللهَ أمسياتِ الطفوله !»

* *

البقايا تمرّدت ملء صدرى حين ألقيت هيكلى فوق مقـْعـَدْ
عايش القصــةَ الكبيرةَ مفتوناً ، وكنا نـَؤُمـّه حين نـُجـْهـَدْ
الذراعان ضــمةٌ من حنــان وحــديثٌ عن الهوى متجدّد
وتقولين : « ما أرقّ الليالى لو مضت هكذا : لقاءٌ وموْعِدْ ! »
طفلةٌ كنت تعبثين بأشــواقى ، وتلوين جيدها لـَوْ تمرّد !!

* *

كلماتُ الصباح .. يا لسعةَ النار ! وهل أنتِ قلتِها لىَ حقا ؟!
« ســوف تنسى كما نســيتُ .. »
حروفٌ سحقتْ خاطرى المعذّبَ سَحـْقا

وتبسمتِ ، والدموعُ بعينيّ تناديك بالهزيمة : « رفقـا ! »
ثم خلفتني أمدّ دراعاً ••والهوى مطرقٌ على الأرض•• مُلْقىً
انحنتْ أضلعي •• وضمّته شيئاً من كياني قطعتِه ، وسيبقى ••

❋ ❋

طلع الفجر من وراء الغمامات بطيئاً ، وسقسقت عصفورَهْ
في الغصون العجاف ، وابتدأ الناسُ يدوسون وحدتي المهجورَهْ
وتلفتُّ : الرؤى غائمـــاتٌ
والبقـــايا هيّابةٌ مذعـــورَهْ
دَفَنَتْ في الزحام وجهـاً نحيـلاً
وتلاشـت على تراب الظهـيرَهْ

مارس ١٩٦٥

تحيتى إليهما

تحيتى لكل شاعر أحب شاعره
وذوبا هواهما على وميض مجمره
دخانها قصائد شجية معطره
ونارها رطيبة من الحنان .. نيره

* *

خطاهما إلى اللقاء أغنيات قبره
ويجلسان فى حمى لبلابة مخضوضره
يسائلان : كيف فجر الغرام أنهره ؟
ومن سعى إلى الجمال فى الدنا ، وأظهره ؟
ومن أقام للنوى هناك .. ألف مقبره ؟
كأنها شواهد على الأسى .. مبعثره
تلوح خلف واحة الحياة .. كلها شره !

* *

ويسكتان ساعة طويلة مفكره
تفلسف الوجود .. تستشف منه جوهره

ويرجعــان بعـــدها خواطــراً محيّره ْ !
يتمتمــان فى حيــاء غادةٍ مخـــدّره ْ !!
ويكشـــفان عن لهيب لهفـــة مســعّره ْ
تسير فى الشفاه رعشــةٌ .. تسير مجبرَه ْ
فيســمع الســكون قبــلةً ترنّ مُسْكِره ْ
كأنهــا من الخــلود لحظــةٌ مقــدّره !

* *

وفى الوداع يمزجــان أدمعـــاً معبّره ْ
وينفثــان لوعـــةً ، وينســجان معــذره ْ

* *

تحيتى إليهمــا .. تحيـــة منضّره ْ
أزفّهــا عواطفـــاً من الفؤاد .. خيّره ْ
تذوب فى هواهما وتســتميح مِزْهره ْ
لكم وَدِدْتُ أن أعيش سحره ، فلم أرَه ْ !

اكتوبر ١٩٦٤

ميلاد أربع قطط

[الى بودلير ..]

الليلُ يسقط فوق شارعنا القديمْ
والعائدون إلى منازلهم .. معاطف مثقلاتْ
حملتْ من المطر الكثيرَ ، وأوحلت أطرافُها المتمزقاتْ
وخـــلا الطريقْ ..
لا شيء غيرُ الصمت ، يقطعه رذاذُ الماء من وقتٍ لآخرْ !
وكما تهزّ الريحُ شُبَّاكى ، فيعوى من تماسكه العتيقْ
ماءت هنالك خلف صندوق القمامة .. قطةٌ عجفاءْ
وتمرغت فى الوحلِ ، وانتفضت من الأنواءْ
وامتدّ فى وجه السماء تمزّقُ البرق المضىءْ
أســلاكَ نارٍ تخطف البَصَرا ..
وتشــعّ تحت ســناهُ عينا القطة السوداءْ
نظراتُها المترنحات ، وصــوتُها المتقطعُ .
وعلى القمامة أربعُ ..
عمياءُ .. تبحث فى صقيع الليلة الحمقاء عن ثدى دفىءْ ..
وتسوخ فى الأوحالِ ، ثم تعود تنكفىءُ ..

صرخاتُها الملتهفات تذوب فى وقع الميـــاه ••
« عودى بنـــا أماهْ !! »
« عودى بنـــا أمّاهْ •• »

* *

الليلُ يمضى مُثْقَلَ الخطوات ، معصوبَ الجبينْ •
والفجر مرتعشٌ ، يحاول أن يبين ولا يبينْ •
والقطة العجفاء ذاهبةٌ تفتش عن لُقَيْمه !
« ربمّاهُ •• كلُّ الدرب أوحالٌ ، ولا ظلٌّ لشىءْ ! »
« والنـــاس مازالوا نيامـــاً ، والقمـــامة موحـــلهْ »
« حتى القمامةُ •• موحلهْ ! »
وجرت مبعثرةً ، تسائل كل زاويةٍ وركنْ
وتقلّب الأحجار لاهثةً ، وتعـــدو لاهثـــةْ
« الجوعُ يفرى ، والنهـــارْ
« سيجىء بالأطفال يعتصرون أمعاء الصغارْ
« ولكم تفسّخ تحت عينيها •• صـــغارْ ! »

* *

عادت وقد طلع الصباحُ ، وشقّت الشمسُ الضبابْ
لترى الصغار على القمامة ، والرصـــيف مبعثرينْ

الوحلُ فى الأفواه محشــوٌ ، وفوق رؤوسهم متكوِّمٌ
وعلى محاجرهم دمٌ ..
وتحسَّست أجسادهم ، فبكت ، وماءت ، وانثنت
للشارع المسدودِ .. تعبره ، وتسمع فى مداه
صــوتاً يدافعها صـــداه ..
« عودى بنـــا أماه .. » .
« عودى بنـــا أماه .. » .

يولية ١٩٦٦

السابعة دائما

[يوم كامل من حياة موظف صغير ..]

يدقّ « المنبّه » فى السـابعهْ
فأفتح عينىّ من حـلم ليلٍ ثقيلْ
وأسحب من تحت بابى الجريدَهْ
فتمسحها نظـرةٌ خاطفـهْ
يحـدثنى « الحظ » عن « صفقة رابحهْ ! »
وأنى أُوفّق فى « جانب العاطفهْ »
ولكننى أحمـد اللهَ ،
حين أشـد قميصى فألقاهُ ..
لم تتسخْ بعدُ .. ياقتهُ الناصِعَهْ !

* *

أجىء المحطةَ .. أحشرُ نفسى بين الزحامِ ،
أدافعُ رائحـة الواقفينَ ،
أفكرُ : كيف تسير بنا المركبهْ ؟
وحين تلوحُ .. أهبّ بكل اندفاعِىَ منتزعاً مقعدا
وبينا أعالجُ أنفاسىَ المجهدَهْ

أشاهد جارتىَ الجامعيّة تصـــعدُ ، هادئةً ، وادعهْ
على صـــدرها تستريح الكتبْ
وفى شعرها •• وردة يانِعَهْ !
أســـارعُ أمنحهـــا مقعـــدى ••
لتمنحنى بســـمة رائعهْ !

* *

وفى « المصـــلحَهْ »
أعيشُ بكفى وعينىّ بين الدفاترِ ،
ليس لهم غيرُ هـــذا •• لدىّ !
مئات المطارق فى الصدر تهوى على كل حلم جميلْ
ويخنقنى أن ديْنى ثقيلْ
خطابُ أبى عن « ضرورة إرسال بعض النقودْ »
« حذائى الجديد يؤجَّل للمرة الرابعَهْ •• »

* *

أحبـــك يا قاهرهْ
أحب شوارعك الواســـعهْ
أحب ميادينك الفاخرهْ

مقاهيكِ .. نسوتكَ الفاتناتِ ،
يضيقن خطواتهنّ ، ويفهق منهنّ أغلى العطورْ
أحبك .. لكنّ رأسى يدورْ !

* *

مع الليـلِ ..
تأوى خطاىَ إلى الحجرة القابعهْ
عشائىَ خبزٌ وجُبْنْ !
وبعضُ الفواكه .. آكلها قارئاً فى كتاب عن « الحبّ » ،
أو عن « مغامرةٍ ضائعهْ »
يغالبنى النـومُ ،
تضبط كفّى المنبّه ..
للسـاعة السابعهْ !

يولية ١٩٦٩

البحـــيرة

[الى صيادى بحيرة المنزلة
الذيـــن استشـــهدوا فى
معركة ١٩٥٦ ...]

فى ميـــاه البحــــيرة الرقراقه
زورقٌ شـــدّ للمســير نِطـاقَهْ
مستعيداً من الشباب صَبَاباتٍ ، ومن عزْمة الحياة .. انطلاقَهْ
كلّ مـا فيـه كومـة من شـــباك
قاســـمته على المـــدى أرزاقـه
وشراعٌ .. رَقَتْه من أثَر الخِرْقِ .. عجوزٌ ضريرة مشْفاقه
لفتاها .. الذى تفتحّ كالزهر صــباهُ .. نضــارةً وطَـلاقهْ
وغدا يعشق الهروب من الشــطّ ، ويدعو إلى الميــاه رفاقه
ليس يدرى الصبى .. واللهـوُ يجرى
فى دمـــاهُ .. حـــكايةً ألاّقـه
ملءَ صـدر العجوز .. تنتظر الليل ، فتسرى لروحه التوّاقه
ذكرياتٍ تضىء فى قلبه الكونَ ، وتروى من الظمـا أشـــواقه

* *

«إيه ياطفليَ الحبيبَ .. وقد صرتَ فتياً .. ولم تعُدْ بيَ طاقَهْ»
« كاد يـــوم الرحيـــــل يقـــرعُ بابى
وشــــــظاياهُ تســــتبيح اختراقه »
« وأرى العمر فوق فُوَّهَةِ الموت .. يعانى خفوته واحتراقه »
« لك عندى حـــكايةٌ عشت أَصْلَى
بلظـــــاها ، وأرتضى ارهـــاقه »
فرنا الطفــــل للعجـــــوز مليَّــاً
ثم أَلْفَى دموعهــــــا المُهْرَاقه
تتهاوى على طراوة خــدّيه ، وتكوى بلذعهـــا أحــداقَهْ
وصـــــــدى صـــوتها العميق يدوّى
فى حنـــاياهُ .. مضرماً أعمــــاقه

❋ ❋

« ذات يومٍ .. سمعتُ — يا ولدى —
الناس يسيرون فى خطى سبّاقه »
« وضجيجاً يثور من جهـة المـاء ، ويشــتد نافخاً أبواقه »
« وأتتْ جارتى تولول فى الكوخ ، وتلقى بلفّـةٍ خفّـاقه »
« كنتَ فيهـا وليدَ عامٍ .. وصاحتْ
مـات زوجى ، تعمـدّوا اغـراقه »

« يالجوع الذئاب .. يصرخ بالحقد ، وينصبّ قسوة وحماقه »

« احفظى خالتى الصغير برفق
ثم ولّت لثأرها منساقه »
« فى جموعٍ تمدّ للموت كفّاً
وبكفٍّ تفجّر الإشراقه »
« لم تعد بعدُ يا صغيرى .. وأنّى
يلفظُ الماء من حشاه رفاقه ! »

❋ ❋

وتراخت قُوى العجوز ، فنامت
نَوْمَةَ الروح ، لا تروم إفاقه
وبكاها الصغيرُ .. ياما بكاها
بدموع سخينة دفّاقَه !
كلما زار قبرها ، لم يدعه
قبل أن يُدْمِيَ الأسى آماقه
ويلمّ الزهور تحت ندى الفجر ، ليُلقى على ثرى القبر باقه !

❋ ❋

ثم دار الزمان .. فانطفأ الحزنُ ، ونامت شجونُه الخفّاقَه

ومشت بهجةُ الحياة إلى القلب مراحاً ، وصبوةٌ ، وطلاقه
وتراءت على البحيرة أفراحٌ ، وغنّت شفاهُها المشتاقه

* *

إن من يذهب الغداة إليها
فسيلقى مياهها الرقراقه
ويرى الزورق العتيق .. قويا
يتهادى شراعُه في انطلاقه
وعليه فتىً .. يجدّف في الماء ، ويهدى لمن به .. أشواقه

يناير ١٩٦٤

الترحيـــلة

[الى عمال مصر ٠٠ الذين
بنوا الأهرامات ، وحفروا
قناة الســويس ، وأقاموا
السد العالى ٠٠٠]

كلّ ما يجعــل الحيــــاة رقيقــه
أطفــأ الليــــلُ والنهــــارُ بريقــه

الجباه السمراء فى وهج الشمس ، ونبض السواعد المعروقه
والفئوس التى ترنّ على الصــخر ، وأكتاف صبيةٍ مشقوقه

ورنــين المــوّال إعــــوال ريــح
فى صــــــدور عريانةٍ محروقه

مدّ فيها الخريفُ أغصانه الجوف ، وبحّت أنفاسها المخنوقه
فى سبيل الرغيف والظــل ٠٠ عاشــت
رحــلة الجــدب والهجير ٠٠ مَسُوقه
يومُهــا مثــل أمســها ٠٠ ليس فيــه
هدأة ٠٠ تمســح الجــراح العميقه
ليس غيرُ المساء ٠٠ يحتضن الجمع ، فتصحوا أعماقه مستفيقه

يسرد الشيخُ عن صباه الحكايات .. بقايا من الفؤاد .. سحيقهْ
كم تشدّ الفتيان للنغم الحـلو ، وتنسابُ بالخيال .. طليقهْ
.. وتجيل العجوزُ فى الكفّ طرفاً
والصبايا قلوبهنّ مشوقهْ
« ربما تصدق النبوءات يوما ! »
« ربما ! » .. كلمة تلوح رقيقهْ

* *

ومن الجمع .. قد يهامس « قيسٌ »
قلب « ليلاه » .. نسمة وحديقهْ
غير أن الغرام يطرق خوفاً
من عيون فى روضه .. مرشوقهْ
ليس ينسى الجميع « قصة أشواق » .. عواءً ، ولعنة ، وحقيقهْ
المصير الذى ترامت إليه
كيف بالله للرؤى أن تطيقهْ
« جثةً للكلاب » .. « لا تقربوها » ..
« اغسلوا الفأس من دم الزنديقهْ ! »
« وابحثوا عن رفيقها : أين ولّى
مزّقوا صدره ، وشدوا عروقهْ »

فتّشــــوا الأفق يومهـــا ، ثم قالوا
« شق للبندر البعيد .. طريقَه ! »

* *

هكذا يعبر المســـــاءُ حزينـــا ..
ويداهُ على القــــلوب الحزينـــه
مثــــلما كان منــذ خمســين قــرنا
ورعـــايا فرعـــون خــلف المدينـــه
يرفعون الأهرام فى جبهة النيل : شـــموخاً ، وعزة ، ورعونه
فـــإذا أقبـــــل المســـــاء عليهم
فتحوا صـــــدرهم ، وبثــوا شجونه
اصــدقاءً لذلك الرمــل ، عاشــــوا
ثم صـــاروا حبّاته ، وعيـــونَه !

* *

وتـــدور الأيـــامُ ، والركب مــاضٍ
لا وقوفٌ ، لا لفتــةٌ ، لا ســكينه
خطــوات من الأسى .. مثقـــــلات
وأحاسيسُ بالضــــلوع ســـجينه

واذا الأفـق بالغــــريب لهيبٌ
كيف — يا قطرة الندى — يطفئونه ؟
يصرخ السـوطُ فى الظهور ، وتطـوى
قـدمُ الليـل أرضـــهم .. مجنونه
وتشق القنـــاة .. القـاعُ يدرى
كـم بـه من جماجمٍ مدفـونه !!
والميـــاه التى بهـــا قطـــراتٌ
من دمٍ ، أهـرق الرجـــال عيونه
والى الشـــط ما يزال نشــيدٌ
يذكر البحـرُ والفضـــاءُ رنينـــه
زاحفـاً كالرياح تجتـاح هـــولاً
واهنـاً كالمريض يخفى أنينــــــه
وقنعـــوهُ تحيـــةً لليـــــالى
ومضــوا فى طريقهم ينشــــدونه

«ياضلالَ الموّال فى رحبة الوادى .. متى تهتدى القلوب الطعينه ؟!»
« إنها تحمل الحنين الى الظلّ ، وتشتمّ فى الهجير .. غصونه ؟!»

« وعلى النار ترقب النيـــل يجـرى
وادعـاً يملأ الصـــفاءُ جبينـــه »

«واخضرار الحقول ،والبيدر الثرّ ،وعرساً مع الحصاد ،وزينه»
آهٍ يا دمعة تسيل على الخدّ ، وتنســاب فى التراب سخينه

إن بالمعـــول القـــديم عطاشـــــاً
للأمـــانى ، وصرخةً مشـــــــحونه

* *

طـلع الصبحُ ذات يومٍ على الركب..
فحيّته فى الوجـــوه ابتســـامه
عجباً ..كيف ذوّب الصّدَأَ المعقود ،وافترّ عن صباً ووسامه
واختفت من جبينـه قَسَـــمَاتٌ
كُــنّ يمـــلأنه أسى وجهـــامه
ما لموّالــه الحــــزين .. ترامى
ضـاحك اللحن ، مرســلاً أنغامه
وعلى صـــدره العريض .. رجـاءٌ
كان بالأمس للقنـــوط عـــلامه

* *

آهٍ يا نيـــل .. إنه جـــاء يبنى
حـــلم أيامــه ، ويرفــع هامه
صـاعداً صـاعداً يباركه الله ، فينهـدّ كل صـعب أمامه

التلال الصفراء ، والحَجَر الصوّان ، والموجُ : ثورة واحتدامَه
فإذا ضمّه الهجيرُ •• توارى خلف تعريشــةٍ ، وغنى غرامَه
الغــدُ المــورق الخصــــيب ••

وبيتٌ تلقط الحَبّ من ثراه حمامَه !

سبتمبر ١٩٦٥

شجرة التوت

خضرةُ الأرض •• والقرى •• والسواقى
ورمالٌ على المــدى •• وســحابَه
وجمـــوعٌ من الحمـــام •• وراع
يتغنَّى •• ونخلتـــانِ •• وغـــابه
وصفيرُ القطار ينداحُ فى الأفق ، وتجرى خطواته صخَّابَه
لحظـــات تهـــز بالقـــلب فرعـــاً
من صباهُ ، وتســـتعيد شـــبابه
يوم كانت دقـــاته أغنيـــــــات
وهـــواه تطـــلعاً ، وصـــبابه
والأســـاطير فى زوايـــاه نهـــــر
يترامى •• وشـــــاعر •• وربابه
ومســـاء معطَّـــر بالأمـــانى
واشـــتياق الطفـــولة المنســـابه
وحنـــان يشـــع من عـــين جَـــدٍّ
غصنَّن الصـــبرُ والزمانُ إهـــابه
فـــإذا ما أتى الصـــباح •• انطـــلقنا
صـــبية فى الفضـــاء نطـــوى رحابَه

الخـليج المـلآن كم ضـــمّ عمـراً
لـوّن الحبّ شمســه وترابَه
والفـَراش الذى ســبانا ، فهمنــا
خلفــه فى الحقــول .. نجنى سرابَه
ودبيبٌ الى المقابر ، واليومُ عيون على الكـُوى .. مرتابَه !
كان شىءٌ يشــدنا للأعاجيب ، فنعطيــه أضــلعاً وثـّابه
ومـع العَوْد ، تلتوى خطـــوات
أنضــج الصـّهدُ جـلدها ، وأذابَه
فتــدور العيــونُ تبحث عن قطعة ظلٍّ .. وللعيون انتحابَه

* *

« دوحةَ التوت .. أسرعوا يا رفاقى »
وتهيج لأنفاسُ ، يعــلو صـــداها
نتبــارى عـلى الوصـــول إليهـــا
ونغنـّى إذا بلغنــا حمـاها ..

وعلى أرضها النديـّة ترتاح جلابيبُ أُشربت من ثراهـــا
صـبغتها الرياح والطين والشمس مراراً .. فغيـّمت مرآها
ويهبّ النسيمُ فى الأفرع الخضر ، فتمتدّ بالعطــاء يداها ..
وتسوق الأوراق رائحة الخصب ، فتمحو عن القلوب صداها
آه يا ضمـّةَ الأمومة .. ما أحنى ذراعاً ، وأضلعاً ، وشفاها !!

تنحنى فوقنـــا بعطفٍ كبـــيرٍ
تتلقّى عطاشنـــا بنداهـــا
والعصـــافيرُ ســقفات عِــذابٌ
وغصـــوٌ تيّاهـــةٌ فى عـــلاها
وإذا صـــيحةٌ تدمـــدم فينـــا :
« أيّكم ينتهى إلى أعـــلاها ؟ »
فتهبّ الأكفّ ، تلتقط الأفرع فى دُرْبَةٍ ، وتلوى قواها ..
« صفّقوا يا رفاقُ للبطلِ الوثّاب .. »
والشـــمسُ ترتمـــى فى مداهـــا
عندها نذكرُ البيوتَ ، فنستشعر زحفَ الدجى ، وصمت رؤاها
آن أن تبعـــد البلابلُ فى الليـــل ، ولكن مع الصـــباح لقاها
من جـــديدٍ يا أفرع التـــوت نأتى
غيمـــةً ، يدفـــع الحنـــينُ خطـــاها

* *

ذكريـــاتٌ تهزّنى حـــين أرنـــو
بخيـــالى إلى الصـــبا ، وحيـــاتِه
وتزيد الدقاتُ ، ينتقض الصدرُ ، إذا أيقظ الهوى طعـــاته

ومشى فى العـــروق لحــن" مدمًّى
صـــبغت روعـــةُ الأسى رنّاتـــه
ما تزال الأصداء فى رحبة الأفق ، ولم يبرح الســنا شرفاته
وزهـــور على الطريق •• ونبـــع
يتهـادى المو"ال فى موجـــاته
وتلوح الظلال من خَلَلِ الدمع ، وتنمـو الحيـاة فى حبَّاته
تحت هـــذى الفروع •• كان لقـاء
أرعشــت نســـمة الهـــوى كلماته
وســكتنا •• فوقَّع الصــمتُ لحنـاً
يا حنـــانَ الحنــان فى نغماته !
صَعَدَ القلبُ يومها بجناحيْن من النور •• واحتوى نجماته
ثم أهــوى المســـاءُ ••
يا شــهقةَ الصـدر ، ويا صحوةَ الهوى من سباته
— الضــــحى نلتقى ••
بعيد" علينـا فليـكن والصـــباحُ فى خطـواته
— عند شط" الخليج ؟ •
لا •• عنــد أمٍّ منحت مولد الهـــوى شـــمعاته
إجعليهـــا محرابنـــا •• إن بَعُدْنا
يقصـــد القلبُ نحـوها فى صـــلاته

* *

عـــدتُ يا قريتى أضـــمُّ حنينـــاً
أبدياً •• إلى ثـراك الحنـــــون
لهفـــــةً تشرب المـــدى خفقاتى
وألمّ الأشــــياء مـلء جفـــونى
كل خطوى تحيةٌ لكِ أهديها •• وكلُّ الهوى ، وكلُّ الجنون
التـــراب الذى تمـرّغتُ فيــــه
والمســـاء الذى أثار شـــجونى
والحياة الخضراء فى أفرع التوت ، وأوراق ظلهـا تحتوينى

* *

عدت يا قريتى •• أحدّق فى الناس ، وللناس غربةٌ فى عيونى
ذابت الألفةُ القديمةُ فى الأعين ، واهتزّت الرؤى فى ظنونى
وتســـــاءلتُ :
أين خيمةُ أحــلامى ، وحبى ، وفرحتى ، ويقينى
فتـــلاقت عيونُهم ، واســـتدارت
همســـــاتٌ من الأسى المدفـــونِ
« قُطِعَتْ فى الشـــتاء للدفء ••
ما أقسى انهمارَ الجليدِ فوق الجبينِ ! »

فبراير ١٩٦٧

نشيد العودة

[الى منظمة التحرير الفلسطينية ..]

حنيناً تراب القدس ما نام ثائره
وشوقاً تهز العائدين مشاعره
وفى الركب لو تدرى قلوب طغى بها
دم الثأر موّاراً ، ودوّت مغاوره
وفرسان صدق ، صاحبوا الموت مذ حبوا
على الأرض — فانصبت عليهم مظاهره
زئير براكين ، وعصف زلازل
واقدام هول .. لا ترد مقادره

* *

هى الحرب ، يا ابن الحق ، ما عاد دونها
سبيل نراه ، أو قوى نحاذره
هفونا لها من يوم أن دنس الحمى
طريد وجود .. ما تجف مصادره
هو الدود يمتص الندى من حقولنا
هو الجشع الظمآن للشر سادره

تظـــــل آمانيـــه تنز ّ شراهـــة ً
كـأن الدنـــا أملاكـــه وحـــواضره
وتسـنده خلف البحـــار عصـــابة
رغائبهـــا أن يحـــرم الزيت عاصره
وأن يحصـــدوا بالبأس أثمـــار غيرهم
وأن يهـــدموا من قوّتـــه مآثـره
وأن يسترقّوا كل حـــر ، ويخلصـــوا
إلى كـل معنى ً فى دمـــاه يؤاذره
وألا يرى الإنســـان فى الكــون غيرهم
إلهـــاً تؤدّى كالفـروض أوامره !

* *

لقـــد فرّقتنا عن لقاهم مصـــائب
كبـــار ، ودهـر جرّحتنـــا أظافره
وآمـــال ملك زيّنـوها لواهـم
فطـار إليهـا ، والجنـــون يخامره
إلى أن أتاهـــا ، فالتقـى بوعـــودهم
فراغـاً ، تهـاوت فى دجـاه مصـائره
وصـارت لدينا منـه ذكرى .. نعيشـها
وتمسـك فينـا مـن تهمّ خواطـره

* *

كذلك نجـــلو الأمس .. كيمـا نســـوقه
إلى الغـد مصـباحاً ، تتشـــعّ نواظرُهْ

ويفرش آفـاق الطـــريق أمامنـــــا
فتســـنو دياجيـــه ، وتبـــدو سرائره

وتمضى جمـــوعُ العـائدين ، وملؤُهـا
إرادةُ شـــعب ، يزحم الأفق طـــائرهْ

ليــــومٍ ، تهـــون الروحُ فى غمـراته
ويرجـــع جيشُ الله ، واللــه ناصرُهْ

فبراير ١٩٦٥

من السجلات العسكرية

[الى وجيــه الســيد .. ابن أخى
وصديقى الذى استشهد على شاطىء
قنــاة الســويس فى الســابع من
سبتمبر ١٩٦٩ ..]

الريح تعزفُ فى ضلوعِكَ غنوة الأفق البعيدِ ،
وأنت منكفىءٌ .. تعدّ رصــاص مدفعك العنيدِ ،
وقــد تألق فى محاجرك البريقُ ،
وأطرقتْ أنفاسُــك المتلاحقاتُ إلى المدى ..
تشــتم رائحــة العــدوِّ ،
وتستشيط أسىً .. إذا مر المساءُ بغير زادْ .

* *

ويمر قائدُك الحبيبُ عليك تســألهُ
— متى نتحركونَ ؟
وأنت نارٌ للجــوابِ ،
فلا يجيئك منه غير إشارةٍ خرساء تعلن الانتظارَ
« ألا هلاكاً لانتظاركَ »

ثم يخطرك الزميلُ بأن نَوْبَتَكَ انتهتْ

* *

وتعودُ ترقدُ .. تاركاً عينيك تسرح فى السماءِ
تشـاهد الحدأ التى تعـلو وتهبطُ ،
كم يريحك أن تعانق ذكريات صـباكَ
حين أهبتَ يوماً بالرفاق ليرفعوك إلى هنالكَ ..
حيث قلبُ العش .. والحِدأُ الصـغيرةُ ..
كيف لم تعـلم بأنك حينما أطلقتها ، كانت ستنمو ..
ثم هاهى فى السماء الآن .. ترقبُ مَصْرَعَكْ .

* *

وتركتَ أمكَ ، منذ شـهرٍ
كان عنفُ الداء قـد أودى بنضرتها ، وأسلمها الفراشَ
تظلّ تسعلُ ، لم يعـد يشفى الدواءُ ،
وحينما ودّعتها أحسستَ أن دموعَها كانت بلون الثلجِ ،
قلتَ لأختك المخطوبةِ : اهتمى بهـا !
سألتك أن تبقى قليلاً ،
ـــ لم يَعُدْ فى الوقت مُتّسعٌ ،
ولملمت الحقيبة فى هـدوءْ !

* *

الريحُ تعصف هـذه المرّةْ ..
والأفقُ يزأر هـذه المرّةْ ..
ورصاصُ مدفعك الصبور يضيء وجه الليلِ ،
يفتح فيـه ثغرَهْ !
وانساب جُرحك قطرة فى إثر قطره
ورقدتَ .. لَيلكَ شـاهدٌ ،
والأرض حولك مكفهرّهْ
..
لكنّ كفّ الصبح رشّتْ فوق صـدرك .. ألْفَ زَهْرهْ !

سبتمبر ١٩٦٩

سيمفونية الثأر

قاتلٌ أنتَ .. فاسهرْ الليل وانظرْ
إن هـذى الدمـاء لـم تتبخرْ
خلفها ساحلٌ من النـار .. تلٌ
من رَصاص ، وذكريات ، وثأرْ
أنت أنجبتَـه بأعين قـومى
أنت ربيّتَه عـلى كل صـدرْ

* *

لا تنمْ فالكرى حرامٌ ، إذا كنت غريباً ، وحولك الريح تصفرْ
والأسُود التى ذبحتَ بنيهـا
تتنـادى ، وتلتقى ، وتزمجـرْ
ظمـأٌ فى حلوقهـا يتـلوّى
ومـذاق من الهزيمـةِ .. مـرْ
كلُّ قلبٍ به من العـار أخـدودٌ
.. ومـنَ طعنـة الأسى ألفُ بئـرْ

* *

لا تنمْ أيهـا الغـريب .. فلْيلى
يولد الحقـدُ فى دجـاه ، ويكبـرْ

جسـدا شـائه الملامح ، يخفى
كل أعضـائه الغريبة .. شعر
فـإذا مـا خطـا فخفقـة نسر
وإذا ما رنـا فأعـين صـقر
أنا أسـقيه من دمـوع الثـكالى
وأغـذيه بالـدم المتخثر

* *

أيهـا القـاتل الغـريب .. ترقب
لحظـات ، فإنمـا اليـوم خمـر
لم يزل فى المساء .. يأتى من الأفق صدى صرخة ، ويسقط حر
وأنا ما حفرت قبراً لقتلاى ، فإن القبـور فى كل صـدر
تولـد الروح فى حشـاها .. وتنمـو
فوق أشـلائها قـوادم فجـر

اكتوبر ١٩٦٩

الرسالة البيضاء

[الى حسن الشافعى ••]

كنـا •• وكان الصـيفُ والمسـاءْ
وشرفةٌ •• لمّـا تزَلْ مفتوحةً للأصـدقاءْ
فى ركنهـا لبـلابة خضراءْ
تحـلم فى إناءْ
تودّ لو تعتصر الأنواءْ
لكنهـا ضـعيفةٌ ، ضـعيفهْ
مثل خطـانا عندما نمر بالشـوارع النظيفهْ
نشـاهد الألوان والأضـواءْ !

❋ ❋

فى مثل هـذا اليوم ، جئت كى أزورْ
طرقتُ بابك الحزين طرقتينْ
هتفت باسـمك الحزين •• مرتينْ
نزلتُ والدموع فى محاجرى ••
أذبت فى منتصف الشارع دمعتينْ
سـاخنتينْ

وانطلقت بجانبى سـيارة حمراءْ !

* *

أمام مكتب البريد هوّمتْ خواطرى
واختنقتْ أنفاسىَ الملتهبهْ
أردت أن أقول أى شىءْ
لكننى .. مضـيتُ !

* *

وددت لو تحملُ الريحُ هـذا اليومْ
رسـالتى اليـكْ
رسالتى بيضـاءُ ليس فى سطورها حروفْ
جريئةٌ تهـزأ بالذى يصـان فى الظروفْ
صـادقةٌ تنكر ما يقال فى الرسائل المفتعَلَهْ
بالله .. لو رأيتها فى نسمة الصـباح قادِمَهْ
أو فى سـكون الليل ، فوق نجمة مهوّمهْ
فاذكرْ بها صديقَ لحظـةٍ ، عميقة القرارْ
يحسـبه معذّبُوكَ صـامداً ..
لكنـه ينهـار !!

ديسمبر ١٩٦٦

عيناك .. والماضى

مقبرةٌ ماضيكِ .. لا تنبشيه
دعيه مدفوناً هناك .. دعيه
يشتبك الصبَّارُ من حوله
وترقد الأكفانُ والدودُ فيه
وتحتويه الريحُ إمَّا سَرَتْ
الريحُ .. يا عار الثرى .. تحتويه
وتسكتين .. اللهَ لا تسكتى
فخلف هذا الصمت ليلٌ كريه
عيناكِ ، والخمرُ بأنفاسها
جماجمُ العشاق .. أشباحُ تيه

* *

فاتنتى .. قد نلتقى أذرعاً
ملتفة الأشواق ، محترقه
لا شيء دون النار فى ليلنا
الحبُّ عارٍ .. والمنى نزقه
ويستفيق الصبح فى ساعة
تفجؤنا دقاتها المرهقه

برودةُ الثلج بأطرافنا
وفى المآقى دمعةٌ مطرقه
يا ذلّها .. لو سقطت ندما
وجفّفتها إصبعٌ مشفقه
ثم افترقنا بعدها .. بعدها
ماذا وراء الدمِّ .. كى ألْعَقَه

* *

لسوف أغدو واحداً منهمْ
ممن مَشَوْا فى النار واستشهدوا
وأصبحت أيامهم قصصاً
تحكينها لآخر .. يَفِدُ
الشوق فى عينيه مثلى أنا
حمامةٌ بيضاءُ .. لا ترقدُ
وقد يكون شاعراً ملهما
يمنحك الخلدَ ، ولا يخلدُ
أو بطلاً لم ينهزم مرةً
يَهُونُ عند البابِ .. يرتعدُ

* *

فانتنى .. لا .. إن فى أضـــــلعى
عاطفـــــةً مرهفـــةَ النغـــمِ

الله فيهـــا والصبّا غنـــوة
لا تصـــبغى ألحانهـــا بـــدم !

نوفمبر ١٩٦٤

على هامش الزفاف ..

لم يُقَدَّرْ فى كتاب الأزلِ
أن يصوغ الحبُّ عُشَّ الأملِ
لم يُقَدَّرْ أن نرى أحلامنا
تزدهى .. فى عرسها المحتفلِ
لم يقدر .. كلمةٌ مُصْمَتَةٌ
تُخرس النفسَ بجرسٍ مذهلِ

* *

آه يا قصتَها .. لا تنطقى
لم يعد يسمعُ قلبُ الثَّمِلِ
أسكرته حَسْوَةٌ دافئةٌ
ظنَّها بُرءَ الغرام الأوَّلِ
فرمى الكأسَ ، وقد ألقى بها
كلَّ معنىً ، عاجز ، مكتهلِ
ورنا للأفق وجهاً صاخباً
وبريقاً من جوىً مشتعلِ
« هذه ليلتُها » .. وانتفضت
بين جنبيه أُمُوسُ الغزلِ

ثائـراتٍ بمـــــكان الملتقـى
صـــارخات بهـوىً لـم يذبـلِ
مقسـمات بوعـــود .. أطفـــأت
فى ليـالى القـرب عـــين العـُـذَّل
ومشـــــت فى صـــدره أنفاسُها
تلفح القـلبَ بنــــار القبـــل
فتعـالت صــــيحةٌ مــن دمــه
يثّ فيهـــا زفرات المرجــــل
كيف يُغضى لقضـــــاءٍ ظـــالم
وجـــهُ انســـان ، وعينـا بطـل !

❋ ❋

خطـــــــوات .. والتقت ثورتــه
بالزغاريد ، وضــــوء المحفـــلِ
والأغـانى صـــادحات بالمنـى
وضـجيج العرس ، مـلء المنـــزل
والصـــبايا راقصـــات طـربا
و « هـواه » فى رداء مخمــــلى
تتلقىّ دعــــــوات ثـَــرّةً
وأمـــانىً بعمـرٍ جـَــذِلِ

وعيـــون كـــل ما فيهـــــا صـــــباً
عنــــدها أغمض •• لم يحتمـــــلِ
ومشى للـــركن يخفـــى أمـــــــره
بابتســـــــام غائم مفتـَعــــل

* *

« أيهـــا الخنجرُ ، هـــل تقتلهـــــا »
إنهـــــا كانت شـــــعاع الأمـــلِ
تضـــحك الدنيـــا إذا مـــا ابتســـمت
يتـــــوارى الســـحرُ إن لم تـُقبـــل
منحتنى كـــلَّ مـــا يروى الظمــــــا
قدّمت لى قلبهـــــا •• لـــم تبخـــل !

• •

فلتعشْ أحلامُهـــــا ناضــــــرة
للنـــدى •• للحب •• للمســـــــتقبل
ولتجفّ النـــــــارُ فى منبعهـــــا
كلمـــــا هبّت رياحُ الفشـــــــلِ

* *

وهــوى الخنجــر مــن قبضـــــته
لعنـــــةٌ هانت ، فــلم تنتقـــل
ظـل فــوق الأرض شــيئاً ضـــائعاً
وبقـــايا ثــورة .. لــم تكْتمِلِ !

مــارس ١٩٦٣

تجاعيـــد

شـــــهقةُ الريح عــلى شـــباكها
ويــدُ الليـــل •• وبعضُ الأنجمِ
وصــــــدى أغنيــــةٍ حائـــرةٍ
وفــراشٌ بــاردٌ •• لــم ينـــمِ
ومواعيـــدُ رجــــالٍ •• هــزئت
ضـــاحكات بالمخـــدع المنهــزم

❋ ❋

وتلـــوّت •• آه مــا أرّقهـــا
غــيرُ تهــــويمة طيف هـَــرِمِ
كلمـــا لاح لعينيْهـــا ارتمــت
من رؤاهُ •• فى فــراغ مظــــلمِ
وجـــهُ شــــمطاء •• رأتهــا مــرة
يــوم كانت فى طـــريق الهــرمِ
تســـأل الناس ، وتستجدى الحظى
كلمــات من فــمٍ •• منهــــدمِ

أرعشـــتها .. فانحنت مشـــفقة
« إيــه يا خــالةُ .. لا تستسلمى »
ورمت فى كفهـــــا مــا جمعتْ
مــن طـــريق .. وثنــىّ القمــمِ
يومهـــا .. رنّ دعــاءٌ .. دفئــهُ
لــم يزل فى صـــــدرها المحتـــدمِ
« اذهبى .. لا ضــمك الشـــيب ولا
عشتِ يوماً .. لحظــات السقمِ ! »

❋ ❋

أشـــعلت مصــباحَها .. واعتــدلتْ
« أىُّ شىءٍ عاش لــم ينهـــزمِ »
دقــةُ الســـاعة تهـــوى بيـــدٍ
من حـــديد .. فــوق رأس مفعمِ
وعـــواء الريــح لحـــن نــازف
ودمــــوعٌ ســـــاخنات ترتمى ..
وأتتْ مرآتهــا .. فارتســـــمت
كــلُّ أبعـــاد الجبين المعتـــمِ

الأخـاديدُ التى فى أرضـــــــــه
خطـــــــوات الزمـــن المنتقــمِ
وشـــفاه" أجـــــدبت حمرتهــا
آه .. مـا أقسى جفـــاف البرعــمِ
وارتخى الصــــــدر .. فما عـاد لــه
كبــرياءُ القــــــدر المحتـــكمِ
ومشـــت فى مفـــرق الرأس .. خُطى
شـــعراتٍ .. صرخت بالســـأمِ
وبـــدا الوجـــــه الذى تعـــرفه
قطعـــةٌ مـــن ذكـــريات الهـــــرمِ
يتحـدّى صـــــمتها .. يجـــلدها
يعصر القــلب بكفَّىْ مجـــــرمِ !

* *

أمســــــكت أدمعهـــــا ، وانكفــأت
تتـلقى" صـــــــفعات الألــمِ
هازئاتٍ بســــــتار أُســـدلت
لم يصـفقْ أحـــد" .. لم يرحمِ !

ومـكانٍ رجّعت جـــــدرانه
قصـــة الليـل •• ورُوع الكِلمِ
الثعـابين لعــاب ســائل
وأغـانى النـار فى كـل فـمِ
وعـلى الأعـين طفـلٌ جـائع
كـم رَجَتْ كفّــاه عطف القـدمِ
كـل شيء راح •• إلا طعنـــةٌ
مُـلئت بالملح •• لـم تلتئـم
ومشى الفجـر إلى غرفتهـا
فعدت تصرخ : « لا •• لا تقـدمِ »
ومضـت تصـلح من زينتهـا
فى جنـونٍ همجىّ مؤلـمِ
غير أن الضـوء أعشى عينهـا
وارتمى فى المخـدع المنهزمِ ••

ديسمبر ١٩٦٣

أصل وصورة

الليلُ .. والشتاء .. والسيجارةُ المحترقه
ولم تزل غرفته .. على الرماد .. مُغْلَقَه
تناثرت فى أرضها الكتيِّبات مطرقه
وألف صورة على جدارنها .. معلَّقَه
ترشقه عيونُها الساحرةُ المحدِّقه
تشدُّه صدورُها العاريةُ المنطلقه
يكاد همسُ دفئها العميق .. أن يخترقه
وهوَّمت عيناه .. لعنةُ الفراغ مطبقه
الصمت ، والجليد ، والوسادة المؤرَّقه
تفاهةُ الأشياء .. ما أقسى الليالى الضيقه !
وفتح الشبَّاك .. مدَّ خاطراً ، وأطلقه ..
ماذا عن الجارة .. يا ليل الرؤى المشوَّقه
حالمة . أم يا ترى على السرير مرهقه
عارية .. أم فى قميصها تنام شيقه
قوامها .. إيَّاكَ يا غطاءُ أن تطوِّقه
ملمسها .. وجرَّدت عيناهُ كلَّ منطقه
تعرَّج الفضاءُ .. صاح فى السكون أنطقه
..

وأنّ مذياعٌ بعيـــدٌ .. صــــوته ما أعمقه !
رمى على الشبّاك أشــلاء الصـــدى .. فأغلقه

* *

مـع الصـــباح ، قابلوه .. بادلــوه منطقَه
وانحــدر الحــديثُ للنســـاء ، فادّعى الثقة
وحاول الكــلام .. فالتوى الكــلام : مشـــنقه
وســمع الرفاقُ بَوْحَ زفــرةٍ .. مختنقــه
تهدّلت ..

وارتعشــت ..

ثم ارتمت ممزّقه !

ابريل ١٩٦٦

اللعب بالقوافى

فى أمـــانٍ من عيـــون القَتَلَه
حـــدثتنى جـــدتى المكتهـله
بكـــلام لا تراعى جُمَـــله
آه .. لـو أدرك يومـــاً مَحْمَله !
آه .. لـو أدرك يومـاً محمـــله !

* *

« ذات عـام من ســنين مُثْقَلَه
قـام فرعـــونُ أمــام المقصـــله
ثم نادى — وعيـــون النـاس لَه
: احتفوا اليـــوم لعـام السـنبله
وارقبـوا خصـب الحيـــاة المقبـله
ســـوف يلقـى كلُّ حـىٍّ أمــله
ســـوف يلقـى كـل حـى أمـــله

* *

صفـَّق الجوعى جفـــوناً مُسْـــبَلَه
وترامـوْا فى طـــريق العَجَـله

يلثمون الأرض من فيض الوَلَهْ
ويغنون لعام السنبله
بشفاهٍ جدْبةٍ مبتَهِله

* *

ظلّ فرعونُ يدارى المهزله
عن صدورٍ بالأمانى ثمله !

* *

ثم لمّا مزّق الجوعُ البله
وأذاب الحزنُ غيمِ البلبله
أدرك الجوعى خداعَ القتله
فتنادوا صيحةً مرتجله ..
« إيه .. يا عزتنا المشتعله !! »
« كيف نمحو البصمات المخجله ؟! »
« كيف نمحو البصمات المخجله ؟! »

* *

غير أنّ الثأر ألقى معوله
وتهاوى نظرةً منهدله

عنـدما شـــاهد حـول المقصـــله
ألف كفٍّ تحـــكم العقـــدة لــه !

* *

رجـع الجـوعى .. جفـوناً مثقـله
وشـــفاهاً جـــدبةً مفتعـــله
تتغنّى للحيـــــاة المقبـــــله !
بعـدما غنّت لعـــام السـنبله ! »

* *

تلك دنيـا جـــدّتى المكتهـــله
ذكرياتٌ .. وأحـــاجٍ مهمـــــله
وكلامٌ لا تراعى جمـــــله ..

..

آه .. لو أدرك يومـــاً محمـــله
آه .. لو أدرك يومـــاً محمـــله

يوليه ١٩٦٣

لحظة وجد على الباب الأخضر

[الباب الأخضر .. يطلقه
المصريون على باب جانبى
لمسجد الحسين بالقاهرة]

معـــذرةً .. يا ســيدى الحســـينْ
إذا طرقت البـــــــاب مرتين
وعــــدت من تجـــوّلى بخرقتين
أمســــــح بالأعتـــاب قبلتين
أســــكب فى الضريح دمعـــتين
أريح أضـــلعى ، ولـــو للحظتين

* *

هذا البساطُ ، والرخامُ ، والشموعْ
موائد .. تنثـــال نحـــوها الجموعْ
خطىً ، وأذرع ، ولهفـــة ، وجوعْ
وأنت دائمـــا تقول للجميــــعْ :

« مَن قَصــد الكريم لم يضــعْ »
فهــل أضـــيعْ ؟!

* *

يا ســـيدى
الصــمت مُرّ
كالمــوت مُرّ
فلتنكسرْ لديك هـــذى القِـــدْرْ
ولتشهد الجــدرانُ أن عاشــقاً سكِرْ
غالبــه الوجـــدُ ، فقــال كلمتينْ
يا ســيدى الحســينْ

* *

لا الوقتُ يسعف المنى ، والا المكانْ
ودونَ ماء النيل — يلهث العطشانْ
وقـــد عرفتَ أنت ذلك الحرمــانْ
حــين يكون الموتُ فى المقـــدمهْ
حــين يكون المـــوت فى المؤخرهْ
بالله كيف تعــرف الأمــــانْ
أو تغمض الجفنينْ ؟!

* *

وكنت قــد رفعت للســما .. شراع زورقى
وحين جــدّ فى اندفاعه بلا تمزّقِ

أهبتُ بالأمــواجِ :
« ذغردى ، وصـــفقى !! »
فاستشرفتْ من قاعهــا الحيتــانْ
والتفتت لصيحتى الشـــطآنْ
وكــدت أوقف الزمـــانْ
لكن فجاءةً .. رأيت زورقى يدور فى الرياحِ ،
يرتمى على الصــخور قطعتينِ .. قطعتينْ
يا ســيدى الحســينْ !

* *

حملتُ قلبىَ المكســورَ .. عــدت للمســاءْ
أعتصر الحزن بكبرياءْ
أُنشــد بين اليأس والرجــاءْ
أغنيةً .. مخدوشة الصــدى ، وأسأل السماءْ
أن تمســح الجراح بالمطــرْ
أن تملأ الطريق بالنجـــومِ ،
أن تبارك الجبين مرتينْ
يا ســيدى الحســينْ !

* *

دون مناى .. لم يزل كثـــير
ولم يعــد فى الطــوق أن أسير
أقعــدنى الحزن عن المســير
وشــفنى الظـــلام ، والهجير
وحينما .. أبصرنى على الطريق
منكفئاً .. منطفىء البريق
يغوص قلبى ، ويدق دقتين
يا ســيدى الحســين !

* *

هنــا .. تطيب روعـــة النــدم
هنــا .. على يديك يصهر الألم
هنــا .. يعود للحيــاة ذلك النغم
يهز قلبى ، ويثير أدمعى
فتستجيب دمعتين ، دمعتين
يا ســيدى الحســين !

أغسطس ١٩٦٩

الرسالة والسكين

[بعد شهور •• من نكسة يونيه سنة ١٩٦٧]

رســـــالةٌ من جيلنـــا الحزينْ
ســـار بهـــا إليـــك شـــاعر حزينْ
مـــرّ على حطينْ
فى صـــــدره ســـكينْ
فى ظهـــــره ســـكينْ
وعندما ارتمى بظل قبرك الشاهق فى دمشقْ
تساقطت من دمه الحروفُ •• مرّة الصدى ، مخدوشة الرنينْ
« القدسُ ضـــاعت يا صـــلاح الدينْ •• »
« القدس ضـــاعت يا صـــلاح الدين •• »

❋ ❋

القدسُ أصـــبحت أســـيرة لهمْ
جـــارية لهمْ
يجرجرونها مع الصـــباح تمـــلأ الجـــرارْ
وفى المســـاء ينزعون عن قوامها الإزارْ ••
ويرقصـــــــونْ

فى القــدس يرقصــون
على رخام الحرم الشريف يرقصـــون
..
ونحن يا صـــلاح
تأكلنــا الجــراح ..
تجـــلدنا الرياح ..
تلفظنا الأرض ، وتجــذب السماء ثوبها من يدنا ..
فمـــا الذى ضـيعنا ؟!
بالله يا صــلاح قل لنــا ..
بالله يا صـــلاح ..

* *

كنت سكت حين أطبق النبــأ
لأن قول الشعر فى مواقف الأسى .. مخادعه
لكننى أدركت أن الصمت ليس يطفىء الظمــأ
وأن بعض الحزن لا يزول عندما نقاومه
بل حينما تقــذفه صـــدورنا !!

* *

يا صرخة البئر التى شــوه قاعها الصدأ
تجمعى ..

تجمعى ، وانطــلقى
فقــد يحرك النــداءُ هَدْأة الحصى ،
ويُفزع الحِـــدَأْ !!

* *

يا عصرَنا المقامرَ الذى يلفّ ليلُه صــباحَهْ
أعطيك عمرى ثمناً لساعةٍ أعيشها فى الدفء والصراحَهْ
الكلمــات خــادعَهْ
النظرات خــادعَهْ
حتى انحناءةُ الرؤس .. خادعَهْ
لا شىء غيرُ الموت يَصْدُق الجميعْ !

* *

يا ســــيدى ..
صــليتُ قبل أن أزور مســجدكْ
وكنتُ قــد غســـلتُ بالدموع صرختى ، وقلت :
« ربمــا تسمعنى ! »

لكنّ بابك الكبير صـــدّنى
أطلعنى على ضــآلتى
أســــكتنى !

* *

« ملعـــون» من يتـــكلم
ملعـــون من يصرخ بالحـــكمة فى الأسواق ،
ويستجدى خبـــز اليـــوم
كنْ فعـــلاً .. لا كلمة
كنْ لله .. يكنْ لك »

* *

وعـــدتَ يا صــــــــلاح
لجيلنـــــا الحزين
أحمل دفءَ الصـــوت والرنين
من قائدٍ حـــزين
ينتظر الصباح مثلنا ، سحائباً ، سحائباً من المطر
تســـقط فى القيعان
تطهّر القـــلوبَ .. قبل تطهّر الحفَرَ !

يناير ١٩٦٨

فى ليلها نغنى ..

[الى السنوات السوداء ..
التى أعقبت نكسة ١٩٦٧ ..]

يأتى الصباحُ ، فلا أريدْ
يأتى المساءُ ، فلا أريدْ
سأمانَ من صدأ الحديد
يلتفّ حولَ يديكِ فى شرهٍ عنيدْ
ويشقّ فى قدميكِ أغواراً من الدمِ والصديدْ
وتحدّقين إلى بعيدْ
مملوءة عيناكِ بالذكرى ..
وأنّى نشعلُ الذكرى شظايا بالنارِ ..
فى هذا الجليدْ !

* *

يا مصرُ .. صدرُكِ يحترقْ
ودموعُكِ البيضاء تهدر فى الضفافْ
وتكفنين مع الأرقْ
أحلامكِ اللاتى قضَيْنَ .. بلا زفافْ

* *

وتدور تصـــفعك الرياحُ ، وأنت وحــدك فى العراء
مهدودةً تتوكئين على عصــاً من كبرياء
وتسائلين الأفق عن أبنائك الغرباء
رحـــــلوا ..
فما سمعتْ لوقــع خطاهمو .. أصـــداء
وتأخرت عنا رسـائلهم .. ســـنين
وتزوجت فتياتهم من آخــرين !

* *

يا مصر ..
يا نيــلاً ، وسنبلة ، وفلاحاً يذوّبُ فى هوى عينيك عُمْرَه
يا بَحّة تنسابُ فى موّالِ راعٍ .. عاش يغزل فيك شعرَه
يا نخــلةً ، وحقولَ برسيم ، ورابيةً ، وزهره
ما لليّالى السّودِ قــد ســقطت عليكِ ،
وصــار طَعمُ النيـــل مرّاً !
والســـــنبلات تقصّفت ،
أغضى النخيــلُ من الأسى ،
ســـكت الغنـــاء
ووقفتِ وحــدكِ تنظرين

أين الذين تعشَّقوكِ ،
وأين حزنُ العاشــقين ؟

* *

يا مصر ..
يا نغماً تمزقَ في شــفاه المنشــدين
هــذى شوارعك الطــوال تغصُّ بالمتنزهينْ
هــذى مقاهيك القديمةُ تجمع المتثائبينْ
هــذى مساجدك العريقةُ ترسل الدعواتِ .. دينْ !
هــذا ضجيج الشــاربينَ ،
وذا غطيطُ النائمينْ !

ابريل ١٩٧١

مدينتى فى المساء

أسطورةٌ هو المساءُ فى دروب القاهرةْ
يســقط كالنسر ، فيخفى ظلّه المآذنَ المبعثَره
وينحنى بكبرياءْ
فوق حوائط البيوت ، يدخل النوافذ المنتَظِرَهْ
يلف أذرعَ النساء ، يرتمى على مقاعد مكسَّرهْ
يذهب بالأطفال مُبعدا .. محلّقاً على سحائبٍ مهاجرَهْ

..

وعندما يعود بالرجال شاربين ، مجهــدينْ
يدغدغون الأرض فى تثاؤب وبُطءْ !
ينفث ريحَ الخمر ، والحشيشْ
وتلتقى الآهاتُ بالدخـــانِ ،
والعيونُ بالأقراط ، والأساور الملتَمِعَهْ
« يا شهر زاد .. أَمسـكى عن الكلامْ
الليـــلُ للمضـــاجَعَهْ
وليأكل الرّخُّ العظيمُ سندبادَهُ ،
فمـا لنـا .. ولَهْ ! »

..

يسحبُ هــذا الليل ظلَّـــه عن البيـــوتْ

عند صـــياح باعة الألبـــان ، والجرائدْ
فى نغمـــة مُعْتَصَرَهْ
تفتح عين القاهرَهْ !

يولية ١٩٦٦

الأرض

بقـــوة الموجـــةِ ، واندفاعـــة الشراعْ
بخفقه العـــروق ، مـــلء الســـاق والذراعْ

* *

بكل مـــا أودّ أن أقـــوله •• وأســـتحى
لأنه يصـُـــان دائمـــاً بقـــاع القـَــدَحِ !

* *

حملتُ جوعىَ الطويلَ ، حاجتى إلى الشرابْ
وجئت •• يستثيرنى إليكِ طائرُ الشـــبابْ

* *

أمنيتى •• أُقبِّـــل الرخامَ •• أَلمسُ القممْ
أدفنُ فى ترابكِ النـــدىِّ •• ماسَةَ الألمْ !

* *

سيدتى •• القيدُ فى اليدين ، والهوى هوانْ !
لكننى أظـــل مـــن رؤاك فى افتتـــانْ

* *

يبهرُنى صـــباحُك الغنىُّ ، والمســـاءْ
منســـدلاً عــلىّ ، والربيعُ ، والعراءْ ..

* *

وكلُّ ما ينام فى الجفـــون من فتـــورْ
والهفى ! أدفنُ فى حمـــاهُ قلبىَ الصـــغيرْ

* *

كأنمــا خلقتِ لى : مقبــرةً ، ومَهْــدْ !
أزهــدُ فيكِ ..
ثم أستجديكِ بعد زُهــدْ

أغسطس ١٩٦٤

الطريق إلى الكلمة

سبعةُ أعوامٍ
وأنا أمشى فى الطرقات الليليّهْ
أتجنَّب وقع الأقدامِ
تصفعنى الريح الشتويّهْ
أتعثر فوق الدربِ

« يا ساحرةَ العينين .. بحسبى
أنّى ودّعت الأهلَ ،
خَلُصْتُ إليك بحبِّى
قدّمتُ هدايا قلبى
هانت فى عينىَّ الدنيا .. من أجلكْ ! »

وأظلّ على أمل اللقيا أمشى ..

« يا روعتها لو تصبحُ يوماً بين يدىّ
طيِّعةً أدعوها ، فتجيبْ ! »

عبثاً أبحث فى جوف الظلمة عنكِ
عيناى على كل الأبعاد خيوط رجاءْ
صدرى يلهثْ

تعــلو بين حناياه الأصـــــداءْ
قلبى يهــوى فى قاع ممتــدّ
« أخلفتِ الموعــدْ ! »

* *

وأعـــودُ
برأسى طأطأةُ المهــزومِ ،
أعـــودُ
وفى جســدى رعشـــات الحمّى ..
عرَقٌ باردْ
أصـــواتٌ شـــوهاءُ بلامعنى !!
أنغام تتشابك فى غير نظامِ !!

* *

ويجىء اليوم التالى ..
فإذا قلبى فى الطرقات الليليّهْ
يتجنبُ الأقـــدامِ

يناير ١٩٦٤

النار المقدسة

فجـــأةً .. تنحسر الموجــةُ عــنْ
شـــاطئٍ عــارٍ بلــونِ الزبــدِ
ثــم تمتــــدُّ إليـــه نظـــرةٌ
من عيــون الشــمس ، والرمــلُ ندِي
فإذا اللؤلؤ حبَّـــاتٌ ســـنيٌّ
تتلاقى طيِّعــاتٍ بيــــدى !
واذا الأفقُ غنـــاءٌ وصــــدىً
وإذا الرعشـــةُ ملءُ الجســـدِ

وأخطـــو حافيَ القـــدمِ
بصـــــدرٍ خافقٍ عــارِ
أضــمّ شـــواردَ الألــمِ
عــلى جسرٍ من النــــارِ

* *

أفضِّل أن أظل أمام قصرك .. غائر العينيْنِ ،
أســتجدى ، ولا أدخــلْ

وأذنبُ .. ثم لا أُقتَلْ
وأحرق فى انتظارك عمرىَ المخضــلّ !

* *

أعيدى فى دمى الوَهَجَ الذى يُحرق
وضمّينى..فقد أصبحت مثل الثلج..لاأَرْوِى ، ولا أُغرقْ !
فقدت هوّيتى .. حين افتقدتُ عذابكِ المُرْهِقْ
وأظـلم تحت عينىّ الطريقُ
ولم تعــد أحجارُه الصمّاء .. تُسْتَنْطَقْ !
وكنتُ إذا مشيتُ .. طرحتُ أسئلتى على الأشياءْ
لماذا .. كيفَ .. أينَ .. ومَنْ وراء سكوتكِ المُطبِقْ ؟
وكنتُ إذا لقيتُ الناسَ أبحثُ فى ملامحهم عن المُطلَقْ ..
فصرتُ اليوم .. لا أمشى ، ولا أســألْ
ونامت أعينُ الدهشـــهْ
هــدأتُ .. سئمتُ من نومٍ بغير أَرَقْ !!
صحوتُ أمزّقُ الجــلد الذى غطّى دمى فجأهْ ..
وطوّحنى إليــكَ الشــوقْ
رفعتُ شراعىَ المطبَقْ
وضعتُ القــلب فى الزورقْ

رحلتُ إليكِ .. أُزجى عمرىَ الباقى :
هــدية عاشــقٍ .. مُرْهَقْ
فلا تـدَعِى يدى ..
مُدّى لها منديلك الأزرقْ !

ديسمبر ١٩٧٣

الزيـــارة ..

ماتوا من زمــن
لكنّى فى هــذا اليــومْ
لا أدرى .. ماذا يدفعنى لزيارتهمْ
أخرج بين قبورهم الصمّاءْ
أتسمّع بعض الأصــداءْ
يسلمنى خطوى للأكفان الرطبــهْ
ألمسُ جثثَ الذكرى .. أمسك بالاشــلاءْ
تصــحو فى كفىّ الأشـــلاءْ
تتحرك .. يجرى فيهــا الدمْ
أسـقط بين الواقع ، والوهمْ ..

* *

كانت خطواتى حين أسايرهم نغماً يزهر فيه الصوتْ
صارت خطواتى يابسةً ، وامتد خريف الصمتْ

* *

كان خيالى مشبوباً ، يتعلق بالسُحب ، وينفذ من أبواب الجنّهْ
صار خيالاً مشلولاً ، يتعثر بالأحجار ، ويسكن حُفَرَ الأرضْ !

* *

بصرى كان أَحَدّ ،وعيناى تجوبان سماء الأمل، ومملكة الشمسْ
صرتُ ضعيف البصر ، أحدّق تحتى فى طرقات اليأسْ !

• •

كان لروحى إشعاعٌ ، وبنفسى شـــوق للمجهولْ
جف الشوقُ ، انطفأ الاحساسُ ، تهاوت أجنحةُ النفسْ !

• •

لم أبكِ عليهم ، حين مضوا ، واحتبست عيناى الدمعْ
لكنىّ فى هذا اليوم .. أناشدُ دمعى أن يتفجر مثل النبعْ !

• •

لم أرفع منديلى ، وقطارهم الراحل يبعد فى الأفق الممتدّ
لكنى اليوم ألوّح بالمنديل ، وأنثر باقات الوردْ !

• •

لم أفقد وعيى وأقبلهم مثل البعضْ
لكنى أعصر شفتىّ الآن على آثار خطاهم فوق الأرض .

• •

ماتوا من زمـــنٍ
لكنى فى هــذا اليومْ
جمّعتُ حصـــاد الموسم وخرجتُ إليهمْ

أشــكو جــدب قلوب الناسْ
أخبرهم أن عيون الصــحب زجاجٌ ،
ووجــوهَ الصــحب نـُحاسْ !
أخبرهمْ ..
أنى بالمال ابـْتعـْتُ الحبَّ ، وفى الغربة بعتُ الاحساسْ !
أخبرهم ..
أن الوحــــدة قاســيةٌ ،
قاسيةٌ حين يحط الليلُ،وتعوى الريحُ،ويخلو من قنديلى الزيتْ!
أخبرهم ..
أنّ الدفء لدى الأحضان الأخرى .. دفءٌ كاذبْ
تتجمد فيه الأطراف ، ويرتعش القلب المبتلّ
أخبرهم ..
وأحاول أن أسمع منهمْ .. أُنصــتْ
لا شىء ســوى الصــمتْ
عجبــا !!
كانوا أحياء بكفىَّ الآنَ ،
فما بالُ النبض خفتْ ؟!
أرفعُ رأسى ..

أنفض عن كتفىّ تراب القبرِ ،
أقومُ .. وفى صـــدرى رائحة الموتْ
رائحـــة المـــوتْ ..
رائحـــة المـــوتْ ..

يناير ١٩٧٢

المساء الذى ألعنه !

[فى رثاء أمى ••]

لا الدمعُ فاض حين لفَّنى النبـأْ
ولا التوت فى الحلق لسـعة الظمأْ
وإنما •• وجدت كلَّ شاهقٍ أمام ناظرىَّ ينكفىءْ

❋ ❋

وكنتَ يا مساءُ قاسـياً ، لا قلبَ لكْ
ضممتَها بدون رحمـةٍ إليـكْ
وكنتُ عائداً لها بأطيب الحديث عن نهارىَ الطويلْ
ما أظلمــكْ !
دفعتَنى عنها ، كأنمـا أنا •• لستُ ابنَها !
جـذبتَ من يدى حنانَها
تركتنى بغير لونٍ •• حينما أطفأت لونَهـا !

❋ ❋

أَجلسُ بعـد الظهر •• عند عـودتى
منتظراً سـؤالك الحنـون :
« هلْ أَكلتْ ؟ »

فتعبر الساعاتُ فوق جبهتى ••
ولا يجىء صَوْتْ !

* *

وفى الصباح ، عندما يشــدّ ناظرى سريرَكِ القــديمْ
فى ذلك الموضــع •• حيث كنت تجلسينْ
وترســلين لى تحيــة الصـــباحْ
مغســـولة بالحب ، والحنينْ
ترُاكِ أين الآن تجلســين !
تراكِ أين الآن تجلســين !

* *

لكم صرختُ بالقطارِ أن يعودَ •• أن يعودْ
لكنـــه انطـلقْ
مخلّفــا ندائىَ المجــوحْ
يضــيع فى الأفقْ •••

يولية ١٩٧٠

أولى كلمات الحب

أيهـــا التـــاجُ عـــلى مَفْرِقهـــا
من ترى يمـــلك قلب الملـــكَه ؟

إنهـــا تخطـــر لا تعرفنـــــا
نحـــن من نمـــلأ أرض المملكـــه !

* *

قـــل لهـــا يا تاجُ : مـــاذا لـــو رنت
من ســـماها للعيـــون المُعْجَبَه !

ربمـــا باحت لهـــا واحـــــدة
بالذى فى نفســـــها المضـــطربه

* *

قـــد تراهُ عاصـــفاً ملتهبـــا
غـــير أن الحب فى مرجـــــلِهِ

ظامىء للمـــــاء .. يحيـــا أمـــلا
كلمـــا لاحت رؤى منهـــــلِهِ

* *

آه لو تصـــــدقُ أطيـافُ المنى
ويدق الـدارَ انســانٌ غـريبْ
عمـــره بعض نجيمـــات ، وفى
صـــدره الخفـّـاق أشواق حبيبْ

* *

لا تقــولى : « ذلك الشـــعر كــلامْ
كلُّ ما فيـــه رنين النغمـــاتْ ! »
انــه روحـــى ، وقــلبى ، ودمـــى
مسـّت النـــارَ ، فصـــارت كلماتْ

* *

اســـمعيها أحــرفاً لاهثـــــة
تتـــلوّى بــين يأس وأنـــينْ
شــهقات ترحم الليـــل جـــوىً
أغنيـــات بعض ما فيهـا حــزينْ

* *

ســوف تغـــدو كلهـــا راقصـةً
يوم تحنـــو نظـــرات الملـكه
انهـا تخطـــر لا تعرفنـــا
نحن مــن نمــــلأ أرض المملكه !

اكتوبر ١٩٦٤

مقطع من قصيدة لقاء ..

تعـودُ الشمسُ للأفُق الكئيبِ إذا رجعتِ
وتنفتحُ الزهـورُ على طريقىَ •• إنْ طلعتِ
ويبعثنى لقاؤُك •• طائراً يعـلو بأجنحةِ
عن الآلام ، والأحزان ، والمـوتِ !
وحين تضمّنى عينـاكِ ••
سـوف أحطم المجـدافَ ••
أُخرجُ من سـكون البحر •• أغنيتى :
حنَانك •• بعد هـذا الشطّ لن يمتـدّ لى أملٌ ،
ولن أَرْقَى بأمنيـةِ
كفانىَ أنّ دفءَ الحبِّ فيـكِ ،
وأنتِ •• أنتِ !

مايو ١٩٦٩

صمــود

هــذا الذى تهدّلت غصونه على طريقنا
وانسحقت زهراته البيضــاء تحت خطونا
وبعثرته الريحُ .. بعثرته الريح فى طريقنا !

* *

هــذا الذى يجعــلنا
نسكتُ أحيانا .. ونستلذ صــمتنا
ونلتقى فتجمد الأنفاس فى صــدورنا
ونرتمى على الرماد جــذوتينْ
باردتينِ .. مات فيهما بريقنا !

* *

هــذا الذى ينسلّ فى عروقنــا
اذا تعانقت فجَاءةً .. أعيننــا !

* *

هــذا الذى تنكره وجوهنا
نخنقهُ .. كل لقــاء .. بيننــا
هــذا الذى يثقلنــا !

* *

صـــــديقتى ••
نحن ضـــحايا لعنةٍ كبيرة تتبعنا
تجعلنا مشرّديْن دائمــــا ••
وجائعين دائمـــا ••
لكنها •• ما اصطدمت يوماً بكبريائنا !

فبراير ١٩٦٩

السقوط من الجنة

تركتَ عيــوننا تبصرْ
فأغريت الفروع السود أن تخضرّ
وتنبض فى الثرى الغاف عروقُ النهرْ
وقلتَ لنــا :

« إذا فاض الهوى •• بوحوا »

فمزّقنا ضـــلوع الصــدرْ
وحاولنـــا ••
فلم نقــدرْ !!

* *

لمــاذا قدّمت كفّــاكَ حَبَّ القمح للعصــفورْ
لمــاذا شــع من شفتيكَ هــذا النورْ
لمــاذا كنتَ أهــدأَ ما يكون البحرُ •• حين كسرتُ مجدافى
وخضت إليكَ ••

أحملُ فى حنايا الصــدر لهفةَ جائعٍ ، عطشانْ
براعمُ •• لم تكن خضراءَ : أنت رويتهــا بالعطفْ !

وحين تبسَّــمتْ ••
مزقتَ بسمتها بحــد الســيفْ !

* *

لمــاذا كنتَ تتركنى أقول الشعرْ
ويومَ طرقتُ بابك صدّنى سورٌ ، عميق الصخرْ
جعلتَ لســانىَ المشلول يلعن « لعبة الأقــدارْ »
تركتَ أصابع الأحزان تخنق فى يدى الأوتارْ
رجعتُ كأننى عود من الصــبّارْ
تَدَافَعَتْنى رياحُ الليــل ••
تقــذف بى لألف طِوارْ !!

* *

أحاولُ أن أصــيح اليومَ :
« كيفَ تركتنى ، ومضــيتْ ؟! »
فتجمد صرختى ، وأحسّ فى رئتىّ طعم الموتْ
وأبسَم فى الوجوه ، لعلنى أبدو بلا أحزانْ
ولكن الأسى يطفــو ••
فيمسحُ هــذه الألوانْ

ديسمبر ١٩٦٧

مخاوف الملتقى والوداع

لم تعــد غير دقائق
ويشــد القدر الساخر شباك القطار
نازعاً من حبة القلب نشيداً ، ودما
تاركاً فوق الرصــيف الصــلد وجهاً معتما
وذراعاً •• ربما تشجبها الريح ، فتبقى ••
فى طريق الريح شيئاً مبهما !

* *

ذلك اليوم الذى ضم خطانا
لم يكد يجمعنا المجلس ، حتى دقت الساعة خمســا
وتلفتنا الى الناس ، وقمنــا
لم نكن ندرك أن السر فى الأرض ينام
ثم يمتــد ، وينمـــو ••
كلما عانق تحت الأرض نهــرا
أرضى الخصبة لم تبخل على السر بأعصاب ثراها
منحته روحها المشبوب ، وانسابت به ، تنفخ فيه
أصــبح السر جنينــا
يرقب المولد فى شــوق ، ويهفو ••

كلما عانق فى عينيكِ موّالاً ، وديع الكلماتْ
وُلِدَ السرُّ ، فمـــاتْ !

* *

« احملوا الجثة من تحت القطارْ »
ويهز الحارس الليلىُّ اكتا فىَ
ــ ماذا تنتظرْ ؟
ــ أنا لا أعرف مــاذا أنتظرْ ؟
كان شىء فى يدىّ الآن ، ثم انطلقا ..
كنت أدرى أننى أعرف كنزاً ، سيضيعْ ..
..   ..
أيها الحارس ، إنى اعتذرْ !

مارس ١٩٦٧

الذى لا يعود

نطرقُ .. حين تلتقى عيونُنا
لأن ذلك الذى كاد يكون بيننا
من قبل أن يولد مـــاتْ
كفّنه الصمت ، فصـــار ذكرياتْ

* *

فى الليـــلِ ..
عندما تنـــام الريحْ
وتنطفى الشـــــموعْ
تشتعل الضـــلوع بالألمْ
وترقص الأحزانُ فى جنازة النــدمْ
حتى اذا ما انكفأت على تراب اليأسِ ،
أطلقت من الأسى الدموعْ !

* *

لكننى حين أراك تقبلينْ
أزدرد الحزن ، ولا أبينْ

لأن ذاك الحزن لو أطلّ •• كنتُ مجرما
أحمل فى أصــابعى دَمَــا !

* *

فلتفترقْ بنــا الطريقْ
ولتذهب المنى •• الى الجحيمْ
فحسْــــبُنا
أن لقــاءً صــاخباً يظل بيننــا
يطرق •• حين تلتقى عيوننــا ••

فبراير ١٩٧٠

الخطـأ

تنبئنى عينـــاكِ أنّ الـذى
نصـــنعه مهـــزلةٌ محـــرقَه
وأن مـــا فى عمـــرنا رائـعٌ
لا تلبثُ الأيامُ أن تســـحقَه
وأننـــا نخطـــو إلى قمـــةٍ
باردة كالمـــوت .. مُسْتَغْلَقَه

* *

مســـكينةٌ ألفاظُنـــا .. ترتمى
عـــاريةً .. جائعةً .. مرهَقَه
فى كل لفظٍ كـــذبةٌ أفســـدت
إيقاعــه ، ورغبـــةٌ مُطـرقَه

* *

حتى الذى كنـــا نظن المنـــى
فيـــهِ .. تلاشى سحرهُ وانطفأ
لمّـا وصـــلناهُ وصـــلنا وقـــد
أدركت الأشـــواقُ هـذا الخطأ

مايو ١٩٦٧

اذكريني

اذكريني .. كلمـا طافت على الدرب سـحابَه
اذكريني .. كلمـا أنّت مـع الليـل ربابَه

* *

اذكريني .. كلمـا شـاهدتِ فى البحـر شراعا
اذكريني .. كلمـا لوّحت الشمسُ : وداعـا

* *

اذكرى هـذا الصـدى الخافت ، والوجه النحيل
اذكرى هـذا البريق الحـر ، والصـمت النبيل

* *

لم يكن شـعرى سـوى فيْض أحاسيسى وحبى
فاذكرى أروع ما قالتـه عينـاك لقـلبى ..

* *

أنتِ .. يا من بـدأ العمـر بتاريخ لقـاها
اذكرى أول حرف ، مزّق الصـمت ، وفاها ..

* *

كان سرا فى ضـــمير الغيب ، مسجوناً بوجــد ه
فاذكرى يــوم تلاقينـــا عــلى تحطيم قيْد ِه

* *

واقتربنــا .. ظمـــأ الغــربة فى أعيننـــا
فاذكرى كيف جرى النبـــع رجـــاءً ، ومُنى

* *

أن يسير الموج هوْناً : ليس فى قــدرة زَوْرَق
فاذكرى أن هــوانا جــاء .. والمبناءُ مُغْلَق !

* *

لا تقولى : « قَدَرٌ كان .. وما كان نصــيب »
نحن لو شــئنا مســكنا الشمس ، أخَّرنا المغيب

* *

أنا لم أطرق ســوى بابك .. لم أطرق ســواه
فاذكرى أنك دون القـــلب أغلقتِ الحيــــاه

* *

نحــن فى أىّ زمــــان ، كى تكونى لابن عمّــك
أىّ قربى •• تخنق البسمة من حـلمى ، وحـلمك

* *

سوف يأتون إلى عرســك •• أمواجــاً عــديدة
ثم يمضــون كما جاءوا •• وتبقين وحيـــدة !

* *

أنتِ يا من أشعل الروح — لكى ترضى — شموعا
سوف يمشى ليــلك البارد صـــمتاً ، ودمــوعا

* *

و « غدا » يأتى •• وما أسرع ما يأتى « غداً » !
يطفىء الخضرة فى عينيــك •• يذوى الجســدا

* *

يومهــا •• حــين يراك الناس ذكرى ياســمين
لن يرى حسنك غيرى ،
فاذكرينى ••
اذكرينى !

مارس ١٩٧٠

الرحلة إلى القصر المهجور

الليل ساكنٌ سكونَ قبرْ
والريح فى جوانب المكان ميتهْ
ولم يعد سواكَ من عشاقها الذين هاجروا
يزور هذا القصرْ
مغسولةٌ عيناه بالدموعْ
وفى يديه باقة من زهرْ !

* *

« لا تفتحوا الأبوابَ ..
حَسْبُ القلب أن يطوف بالأركانْ
لا توقدوا الشموعَ ..
حَسْبُ الكفّ أن تلامس الجدرانْ
لا ترفعوا أصواتكم ..
دعوا اليمام راقداً ، والبومَ فى أمانْ ! »

* *

وعندما يُجهدك الدّوارُ ترتمى ..
على رخام المدخل العتيقْ

حيث يلف الخيطَ ألفُ عنكبوتْ
حـــول ضــلوع صـــدرك الرقيقْ !

* *

« يا نجمةً ساهرة فى آخر المســاءْ
تلمّ ضـــوءها على اســـتحياءْ
لو لحظة بقيت حيث أنتِ •• واقفـــهْ
أخرجتُ ما فى القـــلب من أشـــياءْ
بحت بسر ذلك الوفـــاءْ !
لكننى أراكِ تذهبينْ
يفزعك الفجرُ ، فتسرعينْ
إلى اللقـــاء يا صـــديقتى ••
إلى اللقـــــاءْ ! »

* *

لكنْ •• إلى متى يظَلّ هـــكذا بلا قرارْ
نداؤك الذى يعانق الصـــــدى ؟!
وهل تلوح الشمسُ فى المســاء مرتينْ ؟
لكى تعيش خلف وهم قلبـــك العنيـــدْ
منتظراً •• أن يرفعَ الموتى رؤوســـهم ،
وأن تصـــافح الأحياء •• من جـــديدْ !

أغسطس ١٩٧٠

الوقوف فى الريح ..

القادمون يسرعون دونمـــا التفـــاتْ
والراحلون يسرعون دونمـــا التفـــاتْ
ولم أزل هنـــاك .. فوق ذلك الرصـــيفْ
منتظراً قطارك الذى يجىء آخر المســـاءْ
يمر بى الصـــيفُ ، ويعبر الخريفْ
وينتهى الشـــــتاءْ !

* *

عوّدتُ جبهتى على تحمّـــل الهجير ، والصـــقيعْ
علّقتُ ناظرى على نوافـــذ المـــدى
وكلمـــا سمعت وقع خطـــوك البـــديعْ
وكدت ارتمى من الســـعادة المفاجئهْ
تلاشـــت الرؤى ، وأبْعَدَ الصـــــدى !

* *

الريحُ تخطف المصـــباح من يدى
وليس فى المكان مَنْ يثيره تفرّدى
أمسك بالحقيبة التى ملأتُها بذكرياتنا

أضـــمها لأضـــلعى : واكبـــدى ..
واكبـــدى !

* *

الليل مثقلٌ بالخوف ، والظنــون ، والمطرْ
والسُّحْبُ فى جوانب السماء داكنــهْ
تلفّ جبهـــة القمـــر
أهتف يا واحـــدتى :
« أليس فى النســاء من تشابهكْ ؟
« نظرتهــا كنظرتكْ
« بســمتها كبســمتكْ
« قامتُها كقامتــكْ
« وألتقى بهــا .. كما التقيتُ بِكْ ؟! »

* *

يغلبنى البكـــاءُ ،
ليس فى الضـــلوع شــهقةٌ ،
والجفن لا يــدرّ !
عقارب الساعة فى محورها تكاد تســتقرّ
والحرس الطائف عاد من دروبه ،

يزيح عن جبينـــه الســـهرْ !
طلائع الفجر على ذوائب الشجَرْ

• •

ولم أزل هنـــاك •• فوق ذلك الرصـــيفْ
منتظراً قطارك الذى يجىء آخر المســـاءْ
يمر بى الصـــيفُ ، ويعبر الخريفْ
وينتهى الشـــــتاءْ !

سبتمبر ١٩٧٣

وجه فى القاهرة ..

الصـــمتُ فى دمى يثورْ
كأســـدٍ مأســـورْ
تعثرت خطـاهُ بالحبـالْ
وهاجـــه الجمهـــورْ

* *

وحينما انكفأتُ فوق صـدرك الذى ينوء بالثمرْ
وفاح شعرك الندىّ فى ثنايا الريحْ
نفضـتُ عن حقائبى جهامة السـفرْ
وقلت : استريحُ .. استريحْ .. أستريح !

* *

عيناكِ قصـتان تبعثان النـوم والسّهرْ
قصـيدتان تقطران وحشـةً وأُنْسـا
أغنيتانِ تعزفان الخـوف والأمانْ
عينـاكِ مسـجدٌ وحانْ
أفقـدُ فيهما الأسى ، وأعبدُ الرحمان !

* *

لو أن أمنياتِنا تعيش بالنهـــارْ
كنتُ رصفت من فرائد النجوم فى يديكِ خاتماً وإسورةْ !
أتيتُ بالهـــلال تاج عرْسْ
صـــنعتُ من جـــدائل المســاء كلّه لنـــا ..
غزلتُ من رهافة الســـنا ، ورقة الشـــفقْ
ســـتائراً لعشـــــنا !

* *

فى الصـــدر شـــهقة .. تودّ تنطـــلقْ
لكنهـــا .. مكتوفة بالخوف والأسى والانتظارْ
أىُّ هـــواء فاســـدٍ يخنقُها !
وأى جحفلٍ من الغبـــــار ؟!

* *

بالرغم من دمامة الصـــيف ، وسحنة الخريفْ
ولســـعة المســـاء فى شـــتاء مِصْرْ
أدفنُ وجهى فى يديكِ — يا حمامتى — وأستطيعْ
أن أشـــهد الربيـــعْ

نوفمبر ١٩٧٣

أطفال اليوم

فى مملكة اللهِ الرائعــة الحسنْ
تنبعث من العَرش الأقدس فى كل صــباحٍ ..
موســيقى دافئــةٌ الهمسْ
لتصاحب موكب أطفال اليوم المنحدرين من الفردوسْ
فى أعينهم ضــــحكات الشمسِ ،
وفى أيديهم باقــاتُ النرجسْ !

❋ ❋

أهــلاً .. أهــلاً .. يا أطفالْ
نفتح أحضــانَ الحب ونستقبلكمْ
نفرش أجفان سعادتنا ، حتى ندفئكمْ
ننفق أغلى أيام العمر ، لنجعلكمْ ..
تقفون على أرجــلكمْ .
من ذا يزعجــكمْ ؟ !
نحن نزود النــوم ، ونحرســكمْ
نخطو فوق الشــوك ، ونترككمْ
تمشــون على زهــر ، وورودْ

نشرب مُرَّ الكاسِ ، ونسـقيكم
.. أحلى ما فى العنقـود !

* *

أنتم .. يا شُبَّاك سعادتنا الأوحـد
فى هـذا الليـل الممتـد
يا من تزرع بسمتهم فينـا الفرحه
يا من ينسينا لقياهم أحزان الدنيـا ،
وليـالى الفقـد
أحببناكم مـن قبـلُ ،
وحين رأيناكم زاد الوجـد ..

* *

أنتم .. يا أطفال اليوم التعسـاء
كنا نأمل ألا تأتوا فى هـذا الموعـد
فى هـذا العصر الممتلىء قيوداً وأنينـا
فى هـذا العصر الموسوم بمأساة فلسـطينا
فى هـذا العصر الصـاخبِ ،
حيث يعيدُ القاتلُ فيـه القتلَ على المقتول ..
جئتم يا أطفالَ اليوم وأنتم لا تدرون

أن السجّان هو الأقوى ، والمسـجونْ
هو مَنْ يتكلم بالحـكمهْ
نحن تكلمنا بالحـكمة .. يا أطفالْ
فاندفعوا أنتم بالقـدرهْ
كونوا أفضـل منّـا
كونوا أقـدر منّـا
حتى تصـدح ثانية فى تلك الأوتارْ
أغنيـةٌ .. للأحـرارْ !

سبتمبر ١٩٧٤

قصائد كتبت في باريس وما بعدها



باريـــس

نزلتُهــا •• ورهبــة المســاء تملأ المطار أجنحَه
وللرياح لفحــة •• على الجبين جارحَه
وحينما أسلمنى « الطابور » للموظف الأنيق
كلمنى •• فمــا ســمعتُ شىء
تناول « البسبور » من يدىّ
قلبــه على عَجَل
أومـــا إلىّ أن أمُر
أحسستُ أننى تركتُ مصر
ولستُ أدرى : كيف غامت الصُوَر
ولم أعـد أذكرُ غير رعشــة الأسماك فى الشباكِ ،
عندما تغادر النَّهَر !

* *

الخطـــواتُ ضـيقه
والناسُ مسرعون •• لا التفات للغريب
حتى إذا تعثرت خطاهُ ، أو وَقَع !
وكلما عبرتُ شارعاً •• يطول غيرُهُ ويتسع
« فولتير •• هيجــو •• بلزاك »

يا أصـــدقاءَ رحـــلتى القـــديمهْ
أعرفكم ذوى قـــلوبٍ طيّبهْ
تحــدّثت معى كثــيرا
فما الذى يحيلكم هنـــا صـــخورا ..
شامخةَ الجباه .. صـــلبة العيون والنظرْ
لا وقت للعتاب .. يسْقط الدّوار من يدى حقيبة السفَرْ
ويهطــل المطـــــرْ ..

* *

باريسُ مهرجان فتنةٍ ، وتاج مملكهْ
تخطر كالطاووس .. ألفُ ريشـــةٍ ملوّنهْ
وحينما يجتمعُ العشاقُ حولهـــا
ويصـــخب المساءُ بالدخان والنبيذْ
تكشف عن ساقيْن .. يقطران ضـــوءا
ترقص حتى الفجر .. فوق منضــدَهْ !
وعندما يحسبها السُمّار أنها سترتمى
على ذراع عاشـــقٍ متيّمٍ ..
تمشى إلى المرآة فى خفــر
وتستعيد وَضْعَ شعرها الذى تهدّلا ..
باريسُ قلبهـــا حَجَرْ !

* *

كلَّ صباحٍ .. أعبر الميدانَ راعشـاً من الجليدْ
لكنمَّا الذى يُشـيعُ الدفءَ فى دمى ..
رؤيةُ شـيخٍ فى المائهْ
يجلس فوق مقعدٍ بجانب النافورة المزّينَهْ
يُطعم سرباً من حمائمٍ ألفْنَهُ ..
وحطّ بعضُـها على يَدِهْ !

فبراير ١٩٧٦

نهـــلة

البســـمةُ فى ليـــل الأحزانْ
الضحْكةُ فى صـــمت الجـــدرانْ
الأغنيةُ العـَذْبةُ قادمةٌ من خلف القضـــبانْ
حبّاتُ التوت الطازجة على شـَفـَةِ الظمآنْ
الخطواتُ الطفلة ترقصُ ، وتصـــفقُ ، وتزغردُ •• فى بستانْ
تاريخُ الفرحة يبدأ منذ الآنْ !

❋ ❋

« نهـــلةُ » •• يا أحـــلى نغم تعزفه الشـــفتانْ
أطللتِ سحابةَ خِصْبٍ فوق صحارى القلب الصـَّدْيانْ
فاهتزت أرضى •• اهتزتْ •• وامتلأت آبارُ الحرمانْ
كانت نارى خامدةً ••سـُقـْتِ إليها الريحَ ••اشتعلتْ من كل مكانْ
قلبى المتناثر قـِطـَعاً ••
لملمتِ شظاياهُ •• أعدتِ إليه الروحَ •• توهجَ أقوى مما كانْ

❋ ❋

نهـــلةُ •• يا أَحْلَى نغم تعزفُه الشـــفتانْ
أنظرُ فى عينيكِ ، وأَشردُ أحياناً ••
أبحثُ عما أفعـــلهُ من أجـــلكِ ••
لكنـّى إنســـــانْ !

يوليـــة ١٩٧٥

تعــودين ..

تعودين .. تنفتح النافــذَهْ
ويســقط حبُّ النــدى فى إناء الزهورْ
فتنتفض الأذرع اليابســهْ
ويسرى بأوراقها الاخضرارْ

* *

تعودين يستقبلُ الصــدرُ نســمتك المُنْعِشَهْ
ويشربك العطش المحترِقْ

* *

تعودين بعــد انتظــارْ
وليــلٍ عميقِ القــرارْ
وتنهيــدةٍ نحــو كل مطــارْ

* *

تعودين .. يحملك الساعدان إلى غرفةٍ فى أقاصى المدينهْ
بعيــداً عن الليــل ، والصــبحِ ،

خارجَ أســوار هــذا المــدار ْ

* *

تعودين .. كيف ألامسُ كفيكِ ،
أدفنُ رأسي بصـــدركِ ،
أقطفُ هـــذي الثمـــارْ

* *

تعودين مُرْهَقَةً من دُوار السَّفَرْ
ولكنني مرهقٌ من سكونِ القرارْ

ديسمبر ١٩٧٥

عازف منتصف الليل

كنتُ لا أعرف من أين يجىءْ
كل ليــلٍ .. مرهق الخطــو .. شريدا
ثم يُلقى جســمه المنهوك تحت النافذهْ
ويُغنِّى ..

* *

صــوتهُ الخارجُ من أعماق صــدرهْ
خشن النبرة .. مشروخاً ، ونافر
طالمــا أرّقنى ..

* *

أبداً .. لم أتبيَّنْ
كلمةً واحــدةً من كلماتهْ
كان كالساقية العطشى على حقل جــديبْ
تتعالى حشرجاتهْ
ثــم تعــوى .. وتئنّ !

* *

كنتُ أدعــوهُ : عــدوّى
عندما ينتصــف الليــلُ .. ويطوينى صــداعٌ ،
ثابتُ الخطــو ، مُلحّ !
وأرى أن شــفائى .. لحظةٌ من هَدْأة الليل فَقَطّ !!

كان هــذا الضفدعُ الزاعق يؤذينى كثــيراً
صــيَّر الكونَ حوالىَّ صراخاً ، وعواءً ، وزفيرا ..

* *

ذاتَ ليــلٍ من ليالى الأَرَقِ
جــال فى الخاطر أن أَقتُلَه ..
وتخيرتُ ســلاحى ..
« فازةُ الوردِ على طَرْف الجدَرْ .. »
ويعود النومُ للجفن المعذَّبْ !
سرتُ فى صــمتٍ .. فتحتُ النافذه
وتفحصــتُ الطريقْ
كانت الليلةُ ريحــاً ، ونجوماً خافته
وعــدوِّى قابع فى معطف بالٍ يغنِّى ..
ويصــدّ البرد عنــه بزجاجه !

* *

قبل أن أبتدىء الضربة .. ألقيتُ عليه نظرتى
راعش الأضلع .. مدفوعاً بأحقاد الليالى الماضيه
كنتُ أهــذى ، وأزمزم :
« هــذه آخرُ مرَّه
تتلاقى أيها المسخ البذىء ..
أنت فى أرضــكَ تحتى

وأنا الآن •• على قمـــة سخطى ! »

* *

قبل أن أبتدىء الضربة ، لاحظتُ بعينيه دموعاً
لم أكن أعرفُ : هل يبكى ، أم الخمرةُ فى جفنيه تلمعْ !
وتأملتُ محيّـــاهُ •• للحظـــه
كانت الجبهةْ ملأى بالأخاديد العميقه
وعلى لحيته البيضـــاء حبّات النبيـــذ القانيه
رَفَعَ الوجهَ تُجَاهى ، ورنا ••
لـــم يُفَاجَأْ !!
إنمـــا لوّح كى نشـــدو معـــا
كان فى عينيه آلافُ النجوم اللامعه
وعلى الجبهة شمسٌ وقمـــرْ !
وبدا الصـــوتُ الذى يشـــدو بـــهِ ••
قطعةً من هزّة الأرض ، وايقاع المطرْ !

* *

وتراجعتُ الى الخلف قليـــلاً
كان قلبى يتلاشى
نبضـــهُ الهـــادرُ فى معزوفته

يناير ١٩٧٩

حـــوار ..

— عاصـفةٌ الليـلة أقـوى
— فلنرجىء موعـدنا للغـدّ
— لا .. أعرفُ ركناً فى هـذا المقهى
— حسـناً .. مـاذا تشربْ ؟
— أســـمعْ
. . .
. . .
— جيـدةٌ .. أدفأتِ الصـدرْ
— تقسـمُ
— من قلبى
— تصـلح « للنشرْ » ؟
— لا شىء بهـا غيرُ « البيت الرابعْ »
— أحـــذفهُ ؟
— أصـدق ما فيهـا سيضيعْ
— اللعنـةُ .. ولمـاذا أكتبْ ؟!
— تُسـمع أمثـالى .
— هل تعـلمُ أنك وحـدك مَنْ يسمعنى ..
— فلتكرمْ « قارئك الأوحَدْ »

اطلبْ شــاياً ، وادفــعْ
هــل تغضــبْ ؟!
ـ أبدا .. لكنّى منذ الآن سأكذبْ
ـ تفقــــدنى ..
ـ أملك آلافاً غيرَكْ
ـ وإذا قابلتكُ يوماً فى الشــارعْ ؟!
ـ أَصَحَبُكَ لأقرب مقهى ..
كى أسمعك الآلاف من « البيت الرابعْ »

يناير ١٩٧٩

سرى للغاية ..

يعودون فى المـــرة القادمه
أشـــدّ من الســـيل دفعـــاً ،
وأقوى من الموجـــة الناقمه

* *

يعودون فى المـــرة القادمه
حفاةً ، عـــراةً ، جياعـــا
أظافرهم ناجمـــــه
وأنيابهم كاشره
خطاهمْ على الأرض تطوى البقاعا

* *

يعودون فى المـــرة القادمه
يدســـون قصر الحريم
ويقتســـمون المتاعـــا !

* *

بعثت أقـــولَ تنبَّـــهْ
فتحت الرماد .. اللظى يصطفقْ
ولا تترك الأمـــر للحاشـــيه

فآخر مَنْ يصــدق للحاشــيه ..
وأول من يهرب الحاشــيه ..
أقــول : تنبَّــهْ
وليس بأن ترفع الســور حولك
أو تستزيد الحرس
فليس أمام العواصــف ســور ..
وليس لدفع الردى واقيــه !

مارس ١٩٧٧

الوجبـــة ..

« مشهد يومى فى غابة أفريقية .. »

كان قطيعُ الثيران يغطى السهْلْ
أســـودَ فى لـــون الليـــلْ
الأعينُ .. ياقـــوتٌ أحمرْ
تسكبه الشمسُ على العشب الأخضرْ
وقوائمُ ملفوفاتٌ كعروق الصـــخرْ
ورؤوسٌ منكفئاتٌ أبـــدا ..
تفرك جبهتها بالأرضْ

..

كان قطيعُ الثيران كأمواج البحرْ
ملتحماً .. لا يدع صغيراً يفلت من دائرتهْ
ورهيباً .. كان يزمجرُ كالبركان المتقطعْ ..

وفجأةً .. تدافع الزئيرُ من وراء صخرةٍ ،
وأحـــدق الأســـدْ
عينان تقذفان بالشررْ

وقبضـــتان من حــديدْ
وقفزةٌ مو ّقعــهْ !

اندفعت أمواج الثيرانْ
الأرجــل والأيدى
تتطاير فى عزفٍ همجىء ّ شـــاردْ
نحو طريقٍ منفتحٍ .. لا تعرف أين يؤدّى
واختلط الأكثر خوفاً بالأكثر قوّهْ
فى الإفلات من الموت الجائعةِ أظافرُهُ لحشاها
والفاردِ لِبْدَتَهُ خلف قوائمها !!

ولم يكدْ يحدّدْ « الفريسةَ » الأسدْ
حتى تعثرت بخطــوها
وانحبست فى صــــدرها الأنفاسْ
من قبل أن تغوص فى عروقها خناجرهْ !

. .

وفى الســــــماءْ
ألف غرابٍ زاعقٍ .. وألفُ نسرْ
كان يتابع « الرواية المفضّلهْ »

. .

وحينما انتهى الأســـدْ
مخلّفاً مائدةً على عظامها بقيةٌ من اللحومْ
ابتدأتْ معركةٌ مبْتذَلَهْ !

❋ ❋

عاد قطيعُ الثيران الى الســـهل الأخضرْ
ما فـــكّرْ
أنّ الدورةَ قادمةٌ .. حين يجوع الأسدُ الكاسرْ !
بل لـــم ينظرْ
حتى للجمجمةِ الملقاةِ على طرَفِ السّهلْ !!

يولية ١٩٧٩

الدفء .. فى باريس

[الى أستاذى وصديقى
المرحوم فتحى عبد المنعم ..]

معالم باريس ملفوفة بالضبابِ ،
وكل المحلات أغلقها الناسُ قبل الغروبِ
وما عاد فى الطرقات سوانا ..
تلاميذ يرتعشون من الظلمة البارده
ولكنهم فى احتراق حديثك ينسون لسع الشقاء ،
ويرتشفون من الحكمة الخالده

❋ ❋

وأنت أبٌ ، يسكبون لديك شكاياتهم ،
وأنت صديق ، يواسى الجراح ،
وأنت معلّم
زرعت بأرضهم البكرِ حرّ هواك ،
فما شبّ .. حتى ازدهر
فلا تخش أنِ يذبل العود قبل القطاف ،
فإن العناقيد طابت ..
وهذا الثمر !

❋ ❋

تعاودنى لحظة من وراء السـنين ،
ونحن مساجينُ كهف قـديمٍ ، قـديمْ
حسبنا الحياة بجـدرانهِ
وأن الذى خلفه •• لا يكونْ !!
وجئت كسقراط تطرق أبوابنا المغلقاتِ
وتصرخ : « يا أيها النائمـون
أفيقوا •• فإن وراء الصحارى عيون ،
وان وراء الغياهب •• نور »
وكان لصـوتك لون مضىء ،
وفى الخطوات انطـلاق جسورْ !
حفاةً •• خرجنا من الكهف خلفك
يفجؤنا الضـوء أنّى نسـيرْ ••
ونَعْثُر فوق صـخور الشـواطىء
نسـقط من لفحـات الهجيرْ
وكنـا حَزانَى ••
فكنت تقول لنـا :
« إن من يعرف الحب لا يشتكى •• »
وعلّمتنا أن مَهْر الحقيقة غـالٍ ،
وأن لهـا كل شىء يهـونْ
فرحنـا •• نراودها بالخيـالْ ،
ونهجر من أجلها •• الطيبينْ

* *

وجئنا الى الغربة البارده
وحيث الجـليد يغطى القـلوب ،
ولا يقـدر الحب .. أن يتخطى المشاعرْ
وحيث الغريب يغير فى كل يومٍ إهابا
ويرتدّ مثـل القـواقع
وجـدناك تعطى من القـلب ،
والكنزُ لا ينتهى مـوردُهْ !
وجـدناك تصـفو مع اللهِ ،
والصـدر بالشـوق عامرْ !
وجـدناك تحيـا لمصر ..
وتنشد فى الليـل .. موّالها .

ديسمبر ١٩٧٥

تحــذير ..

تنبَّــهْ .. فإن الرياحَ تهــزّ عليك النوافذْ
وتزأر بالرعــد جــدران ســجنكْ
تنبــهْ ..
فما عاد غــيرُ خروج « القضــاة » من « الغرفةِ المغلقهْ »
وإعــلانُ « يوم النهايهْ »
تنبَّــهْ ..
فحراسك الأقوياءُ اســتعدوا
وشــدّوا سواعدَهم .. بالبنــادقَ !
تنبَّــهْ ..
فقد سحبوك الى حيثُ توضعُ فوق العيون « العِصَابهْ »
وتسمعُ مَنْ يذكرُ اللهَ قبل « الغروبْ »
تنبَّــهْ ..
فإن الطريق انعطفْ
وهـــذى المنَصّهْ
يمينك نهــرْ ..
وخلفــك غابهْ ..

اكتوبر ١٩٨٠

وجه فى باريس

الشعرُ ، والعينان ، والجبينْ
كأنما أعرف هــذا الوجــه من سنينْ
قابلتهُ .. أظن فى الطريقِ
أو فى ثنايا حـُلـُمٍ .. رقيقِ
وحينما بادلنى التحيـَّهْ
إيماءةً .. سريعةً .. نديـَّهْ
ذكرتُ صــمته الطويل حين لفـَّنى
وعنــد كلـَّمنى
ميـَّزتُ صــوتـَه الذى استراح يوماً فى دمى
وحينما انتهى من الحــديثْ
تألـَّقت عيناهُ بابتســامةٍ سريعهْ
أراد يعتــــــذرْ
كأنه أباح ما كان يودّ أن يـُصـَانْ
فانكشــفت غمـَّازتانْ
واهتز صــمتُ الشــعرِ ،
صــار لون الخــدّ .. أرجوانْ

وقبـــل أن يتركنى ..
حـَّـــدقَ فى المكانْ
وانساب من عينيه شـــبهُ لحنِ :
لســـتُ الذى تـَعْرِفـُنِى ..
لســـتُ الذى تـَعْرِفـُنِى ..

يناير ١٩٧٥

الحرية فى فناء السجن

انفتح البابُ الحــديد فجأةً ، وأعلن الســجانْ
أَنّ مدير السجن قادمٌ لرؤيتى
فتحتُ أجفانى على إنســانْ
يشــبه بعض إخوتى ..
لكنــه فى زِيّه الرســمىّ
من غير أنْ ينظر فى عينىّ
أبلغنى القـــرارْ
« .. أَنّنى لحســن ســيرتى
مُنِحتُ فى الفِنَاء .. ساعتين بالنهــارْ »

* *

كانت ســنينُ السجن فى الزنزانة المنفردَهْ
قــد انمحَى منهاالصــباحُ والمســاءْ
لأنّ وضعَ النافذَهْ
كان رديئاً .. يحرم السجينَ أن يرى الســماءْ
صرتُ أعدُّ الوقتَ بالإفطار ، والغــداء ، والعشــاءْ
مرقّماً بطــرف ملعقــهْ
على جــدارٍ عَفنٍ من الرطوبهْ
مــرورَ يــومْ !

* *

كانت سنينُ السجن فى الزنزانة المنفردَهْ
قــد بدأت ضــيقة وخانقهْ

لأننى كنتُ أحبّ النـاسْ !
وحينما حُرِمتُ من حـديثهمْ
كلَّمتُ نفسى .. هامسـاً وزاعقـا
لكننى بعـد شـهورْ
صمتُّ كالقضـبان من حولى ، وكالصـخورْ
نسـيتُ أنّنا فى أىّ يومْ !

* *

أقسى عذابِ النفسِ .. أنْ نجبرها فُجاءةً على المثولْ
للمرة الأولى .. أكلتُ حيثما أبولْ
أفرغتُ ما أكلتـهُ ..
تحسَّستْ يداى جبهتى من الذهـولْ ..
بكيتُ طـول اليـومْ ..
حلمتُ حين نمتُ أننى ملطّخٌ بدمْ !
وأن خفاشـاً بجبهتى تعلقتْ أظافرُهْ
وذئبةً مسـعورةً تمزّق البَدَنْ !

* *

كان نهـاراً مشمساً حين خرجتُ للفنـاءْ
مرتفقاً ذراعَ حارسى القـوىّ
ما كـدتُ أخطـو .. خطـوة أو خطوتينْ
حتّى صرختُ فيـه أن يعـود بى ..
يعـود بى ..
قـد كنتُ لا أبصرُ شيْ !

اكتوبر ١٩٧٨

ثلاثة أصدقاء .. وقمر

[إلى صديقىْ الطريق
الشعرى : محمد حماسة ،
وأحمــد درويش ••]

كُنَّـا ثلاثةً أصـــدقاءْ
فى الصـبح يجمعنـا لقـــاءْ
ومــع المســـاءْ
قمــرٌ •• وأغنيــةٌ شريده

* *

كيف ابتــدأنا ••
لم يَدْرِ يومــاً بأنفسنا الســؤالْ
كنَّـا كحبَّــات النــدى فى حضن وردةْ !
أو كالفراشات الصــغيرة حول شــمعهْ !
الشــعرُ عالمُنا الذى يحــوى شاعرنا معًا
وكأنما كنَّا نحسّ بأنه الرد الوحيد على « الزمانْ » •
تزهو بأعيننــا الرؤى ، فنقولُ شــعرا ••
يعوى بأضــلعنا الأسى ، فنقولُ شــعرا ••
كانت ملامحنا قريبــهْ
ولطالما خلطوا أســامينا ،
وكــم غنَّى ثلاثتُنا •• قصـــيدهْ !

* *

ونسير من « شــبرا » إلى « حىّ الحسين° »
متحدثين عن «الحضارات القديمة» •• « واصطدام الكتلتين° »
وهناك فى مقهى صــغير°
ما كان ينقصــنا الجناح لكى نطير°
ونخوض فى الأمر الكبير •• وفى الحقير° !
وعلى دخان الشاى •• تنتفض الظنون النائمه°
ماذا وراء الموت ؟ أو ماذا وراءك « يا جــدار° ؟ »
ويدور مشــتعلاً حــوار°
حتى يفاجئنــا النهـــار° !

* *

كنـّــا ثلاثة أصــــدقاء°
فى الصـــبح يجمعنــا لقــاء°
ومــع المســـاء°
قمـرٌ •• وأغنيــةٌ شريده

* *

ونحبُّ •• نغرقُ فى « الغرام » ، وما أرق الذكريات° !
مملوءة بالمضــحكات° !
قــد كان ينقصــنا التجــاربُ ،
واقتحام الغابةِ العــذراء بالقدَم الجســور°
لكنّنا •• كنّا نضمّ « حياءنا » ونقول شــعرا

« أيهـــا التـــاجُ عـلى مَفْرِقِها
مَنْ ترى يمـــلكُ الملكـــهْ ! »
« إنهـــا تخطـر •• لا تعرفنـــا
نحن مَنْ نمـلأ أرض المملكـــهْ ! »

* *

« يـذبلُ الـوردُ إذا لـم نـروهِ
ويمـوت الحَبّ فى جوف السنابلْ »
« فاسـكبى بعضَ النـدى فى جـذرهِ
كاد هـذا العودُ أن يصـبح ذابلْ »

* *

« إننى يا قلبُ •• قـد صرتُ هشيما
عينهـا الخضراء أصـــلته جحيمـا
لم أجـد يا قلب لى منهـا رحيمـا
آهِ منهـا •• آهِ يا قلبى الحزينْ ! »

* *

كنـا ثلاثة أصـــدقاءْ
فى الصـبح يجمعنا لقـاءْ
ومـع المسـاءْ
قمـر •• وأغنية شريدهْ

* *

ننمو •• فيصبحُ للحوادث ألفُ نافذة وبابْ ••

وبقدر ما تقوّى السواعدُ .. تثقل الأخشابْ !
لكننـا نتقبل « الدنيـا » بلعبتها العنيفهْ
يعـلو بنـا موجٌ ، وتنثرنا رياحْ
فوق الشواطىء تارةً ، وعلى الصحارى اليابسهْ
تهوى علينـا الشمس لاذعـةً ،
ونجمـدُ فى الصـقيعْ
ونكـاد نفتقدُ الربيـعْ !

* *

كنـا ثلاثة أصـدقاءْ
واليومَ .. لم يَعُـدِ اللقـاءْ
لكننا فى كل أمسـيةٍ نحـدّقُ فى السـماءْ
بحثـاً عن القمر الذى ما خان موعـدنا ،
ونُصغى فى خشـوعْ :
للأغنيـات الشـاردهْ

مارس ١٩٧٩

بــكائية

الليـــالى مليئـــــة بالأمـــانى
فــلمَ الصـــبحُ قاتم الألوان
وعــلام الطيـــور مكتئبـــات
واصـــفرار الذبول فى الأغصـــان
ســـكت الروض فجــأة ، وتلوّت
صرخة المــوت فى زوايا المكـــان
فإذا الشمس جثــة تسكنُ الأرض ، ويعلو من فوقها شاهدان
وأفقنـــا مــن الوداع لنــــلقى
عبثـاً مـا يحيط بالإنســـــان
من شـــقاء ، ولــذة ، وكفــاح
وهمــوم ، ورغبـــــة ، وأمــانى

* *

يصــدق المـــوت دائمـــا ، فلمــاذا
يكــذب المــرءُ نفســـــه بالأمــان
كل يوم يمــرّ فضلٌ من المــوت ، وبعض العطاء من ســجّان
حــاكمٌ .. دائنٌ جميـــع البرايــا
قاطــع ســـاحق بغــير حنـــان
وكــأنكَ بوقفـــــة النسر منــــه
فى الذرى مشرفاً عــلى الميــــدان

أى عـين ترى .. وأى ارتقـاب
يتمـلكى مطـالع الشـجعان
فإذا مـا هـوى .. هـوى باندفـاع
يتخطى تخيـلات الجبـان
وكثـيراً ما يتـرك المـرء ، حتـى
يتناسـاه فى صراع الزمـان
فى بلـوغ المـراد بعـد احتـراق
فى امتـلاك الأشـياء من حرمـان
فـإذا مـا اسـتراح ، أو كـاد يروى
ظمـأ العمـر بعـد طـول التفانى
أقبـل المـوت .. ألف ألف طريق
لخطـاه .. وألف ألف حصـان !

* *

قيـل : إن الحياة والموت صنوان ، فهلاّ تساويا فى الرهان
ليس بالعـدل أن نسـوّى عقاباً
بعصـافير غضـة الخفقـان
إنمـا المـوت كاسر يتسـلى
بفراق الأحبـاب والخـلاّن
يتـلقى آلامنـا بابتسـام
ويلاقى عـذابنا بافتتـان

يعشــــق الدمع فى عيــون الضــحايا
يكسر النـــــاى من يــد الفنــَّــــان

* *

لا تلمنى إذا تجــــــاوز قـــــولى
منطق اللفظ ، أو أليف المعــــــانى
إن للمـــوت رهبـــة تبهر العقل ، وتعشى بضوءها العينـــان
غـــير أنى أراه أصـــــــدق حــــكم
لبـــرىء ، ورادعٍ لمُـــــــدَان
فى تلافيقه تذوب الصــبابات هبــاءً •• وتســـتقر الأمـــانى
وعــلى كفّـــــه تنـــام المآسى
ويداوى لظاهمـــــا الخصـــمان
وبأحضـــانه تصـــــير ســــواءً
خفقـــات الحــزين والجــــــذلان

* *

أيهــــا الراحــلون للمــــوت قبــلى
صــــــارحوهُ •• فليس فى امــكانى
إننى هاهنــــــا أعــانى حيـــــاتى
إننى هاهنـــــا أعـــانى •• أعـــانى
فالوداعَ الوداعَ •• بل لســت أدرى
اللقـــاء اللقــــاء •• بعــد ثــوان !

يـنـــاير ١٩٨٤

وجه من الماضى ..

أيها الوجـــه الذى أشرق فى الليل على قلبى الحزين
ذات يوم منـــذ آلاف الســـنين
ثم ولـّى من طريقى .. مثلما تعبر فى الأفق ســـحابه
وتولـّيت بدورى للصـــحارى اليابســـهْ
والصـــخور الصـــلد ، والأرض العـــراء
كلمـــا أرهقنى الخطـــو تلفـّت ورائى
علـّنى ألمح خيطـــاً من محياك الوضىء
ليس إلا قـِطَعٌ الليل على كل الدروب الضـــيقهْ
والوجـــوه المرهقـــه

* *

ظمئتْ كل عـــروقى
فتحاملتُ إلى النهر الوحيـــدْ
يابس الأعماق ، مشـــقوق اللســـان
قدمى تغرس فى الطين خطـــاها الذابله
ويدى تمســـك أوراق الغصـــون المائله
وخيالى يمـــلأ النهر ظـــلالاً ، ودوائرْ
عنـــدما اســـقطتُ فى المـــاء فمى
لم أذقْ غـــير دمـــى !

* *

أى شىء يدفع القــلب لكى يبكى أمام الآخرين
ويعرّى خلجات •• لم تكن لولا بكاهُ تســتبين
أهو اليأس من الصــمت ،
أم الخــوف من المــوت ،
أم الصبر الذى يذوى •• على مــر الســنين
• •
كلما أرجــع لى الصــوتُ صــداه
صــنتُ دمعى عن ثرى الحزن ،
وأخرســتُ الشــفاه

❋ ❋

ليتنــا نمســك بالماضى ، كما نمســك بالمــاء ،
وليت الذكرياتْ
تتأنّى فى خطــاها المتباعــدْ
إنها تطرق باب القــلب فى الليــل ، وتمضى ••
تاركات فى فراغ الصــدر أشلاء غناء وبكاء ••
وعلى القبــر شــواهدْ
تتخفّى من عليها الأحرف الأولى ،
وتاريخ الوفـــاه
ومع الليــل الذى يســقطُ ،
والريح التى تصــفرُ ،

والعمر الذى يمضى هبـــاءْ !!
نتباعـــدْ ..
نتباعَـــدْ ..

* *

أيها الوجـــه الذى أشرق فى الليل على قلبى الحزين
ذات يوم منـــذ آلاف الســـنين
مرةً أخرى ألاقيك ، فيحيا أمـــلى
ويغيب القـــلب فى رؤيا محيّـــاك الوضىء
غارقـــاً فى النـــــور ،
لا أسمع وقـــع الزمن الهـــادر حـــولى
لا .. ولا نَوْح المكان الموحـــلِ !!

يونيـــة ١٩٨٤

المحتـــــــــوى

تصـــــويبات

ص ٦٩	س ٨	إلى غاية
— ٧٦	— ١٥	تلك الكلمات
— ٧٩	— ٢	ذراعـــا
— ٨٥	— ٧	يحـــدثنى
— ٩٢	— ١١	وبحث
— ١١٢	— ٦	تحمل ريح
— ١٤٦	— ٩	مـــلء
— ١٦٩	— ٥	شـــموعا
— ١٩٤	— ١١	يدوســـون

رقم الايداع ٥٦٩٣ لسنة ١٩٨٤

مطـــابع ســـجل العرب